سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي (57)

ديوان أحمد بن عبد الواحد ابن المواز

أحمد بن عبد الواحد بن محمد ابن المواز الحسني السليماني الفاسي

(1279 – 1341 هـ/ 1862 – 1922م)

(الجزء الأول)

بسم الله الرحمان الرحيم

قال رحمه الله يهني جلالة الملك الحسن الأول عند ختمه لصحيح البخاري بالقصر الملكي بمدينة فاس قدس الله روحه ونور ضريحه:

محامد ما زالت تؤم المعاليا وتقرن بالوصف الجميل المساعيا

عوائدها عادت تسر هباتها لترضي على حكم الهناء الأمانيا

سرى نشرها فارتاح كل متيم وعادت رياض المغرمين زواهيا

تساموا بها جام المسرة فانتشوا كما صار منها المنتشون صواحيا

متى خامرت ذهن الخلي تجاذبت حجاه وأبدت سرها شعشائيا

تحن لها الأرواح شوقا لأنها ترد النفوس السفليات عواليا

وما للنفوس العلويات بواعث لغير أحاديث الرسول دواعيا

أحاديث فيها للبصائر مسرح متى سرحت ألقت سناها للشعاعيا

أسوس عليها الدين قام بناؤه فجلت اسوسا للهدى ومبانيا

أصول اجتهاد فرعتها أئمة نرى الكل منهم للسعادة هاديا

فحص كل مذهبا لأتباعه لأن كان من عين الشريعة راويا

ولم يدعوا فيها مجالا لمدع فمن قال قولا بعدهم عد لاغيا

هي السنة المختارة السمحة التي تبين من آي الكتاب المعانيا

لقد شيد المولى البخاري ركنها بجمع صحيح كان في الرشد كافيا

بحضرة من أمسى الهدى برشاده قريرا. ولولا سعده كان باكيا

إمام عفت آثاره صيت من مضوا ولست ترى صيتا عافيا

كأنهم كانوا إليه وسائلا ليحيي به في الدين ما كان ذاويا

له سيرة في الخلق ألف سرها به بين ماوي وما كان ناريا

تحمل عبئيها بحسن سياسة أقر الهدى منها وأرضى العواليا

بسيدنا المولى التقي الحسن اعتصم تجد سعة لم تخش فيها اللياليا

تخصص في وصف العلى بمكارم لها عاطل الأيام أصبح حاليا

له قدم في الحكمتين فلم يدع له فيهما بين الأنام مناويا

تلقى من المبدا العلي معارفا لدنية قد ملكته النواصيا

فحقق تركيبا بها وبسائطا يرى عندها سر العناصر باديا

وأدرك أسرار العناصر اذ غدا لها عن مقامات التكايف راقيا

يقيم على التوحيد منها أدلة يحقق منها العارفون المباديا

غدا قابلا للفيض فانكشفت له حقائق سر لم يكن متناهيا

لك الفضل مولانا الإمام فإنه ترى نجمنا لولم تمده هاويا

وإلى أن يقول:

فما زلت يا خير الملوك مظفرا سليما قريرا تستزيد التهانيا

برتبة كيوان وأفراح زهرة وسطوة مريخ تبيد الأعاديا

بجده النبي المصطفى من بجاهه ينال الفتى في السعد ما كان راجيا

عليه صلاة الله ما لاح كوكب وبعد حضيض عاد في الأوج عاليا

صلاة تعم الآل ما قال قائل محامد ما زالت تؤم العواليا

وقال يصف حالة بعض أصحابه حين تشوّف لشراء أمة سوداء للتسري. فاتفق الذين كلفهم أن

يرسلوا له عبدا في حلية امة ابتغاء إحراجه وتفكّههم وتسليتهم بما سيحدث له:

لما أتته وصيفة مستورة بنقابها. معروضة لشراء

وجدته مقطوعا يصدعه الذي من تحته. كالحية الرقطاء

فخلا بها. وغدا يلامس طامعا متشوقا للشقة السوداء

ويقول: هذي شهوتي أشفي بها عين القمر الأعور البكاء

حتى إذا استلقت إليه وقوست أفخاذها. ودعته للنعماء

رفع الثياب فأفزعته بقائم ذي خصيتين، حكى عمود خباء

فرمى الثياب وقام يعثر هاربا من خوف عكس قضية الإيتاء

فله الهنا بوصيفة عادت له بقلائل. وبغيظة الفحشاء

وكان جلالة الملك عبد العزيز قدس الله روحه اقترح على أدباء الكتاب بحضرته الشريفة تخميس أبيات أبي نواس بمناسبة أواخر شهر شعبان. ومن جملة من خمسها السيد أحمد بن الحواز إذ قال رحمه الله:

وذي أنس له نفس تسلت رأى أيام شهر الصوم حلت

فقلت له: دواعي البسط جلت إذا العشرون من شعبان ولت

فواصل شرب ليلك بالنهار

أقم نزه السرور بلا انتظار وجدد زهو انسك بابتدار

ولا تدع الكواعب والجواري ولا تشرب بأقداح صغار

فقد ضاق الزمان على الصغار

ولما أسند إليه منصب رئيس مجلس الاستئناف بالأعتاب الشريفة، وكان الأديب أحمد بن المأمون البلغيثي رحمه الله أحد أركان هذا المجلس، هنأه بقطعة شعرية متمنيا أن يدخل على هذا المجلس تحسينا كان في أمس الحاجة إليه، فأجابه إبن المواز بهذه القطعة:

لسان الهنا من جانب الود قد حيا بأبلغ شعر منقع في الحشا ريا

تيمن من منطوقه بفوائد تضوع في الأفكار مفهومها ريا

ودل على ما كابدت منك همة مع القوم لا يدرون نشرا ولا طيا

سوى نبهاء منصفين تخلهم وأما الذي يولي فقد عدم الرأيا

ومن مارس التصريف أدرى بمسلك وغيره قدم إنما استهدف الرميا

ولا شك أن الفضل منكم يفيدنا محاسن تعضيد يرى ظلها فيا

وما المرء إلا بالأخ الصادق الذي يؤيد تسديدا، ولا ينشر العيا

أخ جل في العلم القويم مقامه فناسب تطهيرا يمازجه وحيا

ومن جمع الوصفين أحرى بنصرة على من أعارتهم صفاتهم العريا

فلا زال أهل الفضل أمثالكم لما يرجى حماة ينهجون لنا الهديا

ويكفون في العلياء كل مهمة بعلم ورشد ناجح في الهدى سعيا

ونرجو لمولانا الإمام سعادة ونصرا وتمكينا تصان به العليا

وتاريخها يهنأ المبشر مثلما أفاد هناء كان ملبسه حليا

وله أيضا رحمه الله يودع الشيخ ماء العينين يوم سفره من فاس عام 1324:

ليت المخبر لم يخبر بفرقتهم فإنما هو أغرى القلب بالكمد

آه لها من غداة إذ ركائبهم زمت وبانوا فبان الروح عن جسدي

فأجابه إبنه الأبر النحرير الأشهر الشيخ أحمد الهيبة ارتجالا، فاستحسنه لسرعة ارتجاله وحسن مقاله:

لو استطعنا قطعنا حبل فرقتكم وما سلكنا يد الابعاد بالجدد

لكنما الروح إن كانت ممازجة للروح ما ضرها بعد على بعد

{مساجلة}

قال الأديب محمد بوجندار

قال الشاعر المطبوع عبد الله القباج

مثال الفضل يارب المزايا ويارب السماحة والسماح

بحق الود رشفني بوصل يواصل بين أكواب وراح

وها أنا في انتظارك فلتجب من دعاك إلى الغذاء مع الملاح

فأجابته بقولي معتذرا، ومن فضله متشكرا:

دعوت دعاك داعي السعد يا من له عذر جلي كالصباح

وددت أطير من فرط اشتياقي وكيف يطير مقصوص الجناح

بفضلك سامح إني مريض وليس على مريض من جناح

ولما علم بعدم التداري، على مساعدة بمزاري، كتب لي في عرض التأسف وقبول اعتذاري،

فقال:

أتاني در فيكم من الرواح فعاد به رواحي كالصباح

وأطربي وصيرني كأني شربت الخندريس مع الصباح

صبوت إلى صباكم غير أني أسفت على معاكسة الرياح

ألا عجبا لدهر فيه أمسى هزار السعد مقصوص الجناح

فهلا قد أخذت جناح نسر فما في الاستعارة من جناح

وعذرك ظاهر لاكن انسي بدونك لا يقارن بانشراح

لأنك للسرور وكل جمع كمال وارتياح في ارتياح

ووجهك   الأحبة كل وقت مراح في مراح في مراح

فدم واسعد أبا جندار وابشر بقرب شفاك ياروحي وراحي

ثم ذيل هذه الابيات بأخرى في رفع شكواه، بخليلنا الشاعر الشنجيطي الذي تخلف بلا عذر عن تلبية دعواه، فقال:

أديب العدوتين إليك أشكو أديبا قد تخلق بالصلاح

محمد الذي يعزى لدينا إلى شنجيط ربع ذوي السماح

دعوته للغذاء اليوم عندي بداري وهي في خير النواحي

فأخلف وعده من غير عذر وقلد فيه ربات الوشاح

وصدت لدا الألي كانوا حضورا بداري مثل بياع (الكواح)

فذب في لومه عني فإني أنبك في الخصام وفي الص   ياح

ولا تقبل له عذرا لأني عزمت على التدرع بالسلاح

وما وقفت على أبيات شكايته، حتى جعلت لها توطئة من بحره وقافيته ورفعت الكل للخليل المذكور فقلت مخاطبا لسيادته:

خليلي: لا عدمت أخا سماح يسامح أو يعاتب بالصلاح

رأيت الشاعر المطبوع يشكو كأنه مغضب شاكي السلاح

شكا وأنا برئ في العتاب لاكن أرى طبعي يميل إلى السماح

يقول: وعدته بالوصل يوما تبادله به راحا براح

فظل صحاب ذاك اليوم يرجو وصالك في غدو او رواح

ولم ينفك يغري النفس حتى أتاه الليل مسود الجناح

فلام ونام في غم وهم ولما قام قال مع الصباح

أديب العموتين إليك أشكو أديبا قد تخلق بالصلاح

وهذا جواب الخليل، ولا يخفى ما فيه من حسن التعليل

تأمل في القضية خير صاح ولا تسمع شكاية كل لاح

فإن الشاعر المطبوع حقا دعاني للغداء والانشراح

ولكن دأبه في القول مزح معي فحملت ذاك على المزاح

وهبه دعا بجد واهتمام وعزم لا يطاح بالرماح

وفي الشعراء أنهم حيارى وقولهم بمنزلة الرباح

ولست بخائض الوادي إلى من يهيم به الحساء مع الصباح

ولا أدع الشراب إلى سراب فأفعل فعل أصحاب القداح

ولما آل الامر للمزاح، والاعتذار بالسراب والرياح، رفعت القضية الى قاضي الشعر أديب فاس، فقلت اليك يا أبا العباس (أحمد بن الجواز)

أبا العباس يا روحي وراحي بقيت أخا ابتهاج وانشراح

أتتك قضية القباج يشكو إلينا صاحبا بل خير صاح

دعاه للغذا معه ولما تخلف عنه في ذاك الصباح

أجاب: لأن دعوته ومي عاده كانا مزاحا في مزاح

وقد حكمت بينهما لأقضي لذا أو ذاك بالحكم الصراح

ولما كنت في الأحكام أقضى قضاة العصر في كل النواحي

رفعت إليك أمرهما لتقضي لكل منهما وفق اقتراح

فقضى وكان في قضائه مصيبا، ثم راجعني بقوله مجيبا

ألاحي في ودادك كل لاح وهل يلحي على عشق الملاح

أمثل لطف مزحك في خيالي وما أحلى مزاحك في المزاح

فبينا الفكر في أخذ وترك لذكراك أمس عند الصباح

وما برح التفكر فيك حتى أتى منك ابتهاجي وانشراحي

أتى منك القريض فهاج شوقي وذكرني معاهد الانشراح

(وذو الشوق القديم وإن تسلى) يرى عند التذكر غير صاح

يروم الحكم مني في أديب تخلف حيث لم يرس جناح

وحكمك المخلف في انصاف له منه على حكم صراح

فأسندت التحكم لي عساني أوافيكم بها للذنب ماح

فأما الشاعر المطبوع لما تبدي في الحضارة والسماح

فقد أبدى الجميل وما جميل تخلف حاسب دعوى المزاح

فقل للشنجيطي: لم لا توافي وما هذا التجافي عن ملاح

أتقصر عن حبيبك حين يدعو كما قصر الحصور عن النكاح

فما هذا بخلق من رجال ولكن خلق ربات الوشاح

وما أبدى من الأعذار احرى به اذ كان من شعرا النواحي

وأما ما رماه به من المزح في إبطاله قصد انشراح

فإنا ما سمعنا من رماه كأن تخلف وعدا لصاح

وقل للشنجيطي: حتم عليه أداء غرامة وفق اقتراح

وذلك ان يجمعنا جميعا بمنزله على كأس وراح

على عود يعيد قديم أنسي وظبي لحظه ياسي جراحي

ورشق رحيق آداب توالت على فكري بأطيب من أقاح

فأما إن دعا الداعي إلى ما يريح النفس من شبق وحاح

فدوني والحلال فإن فيه غناء الحر عن شين السفاح

لحى الله الذي يهوى غزالا ليكحله بميل المستراح

فهل ورد يراد لغير شم ولو بعد ابتسام وانفتاح

فإن يك رأيكم في ذا كرأيي و إلا فابسطوا بسط الخزاح

فباب البسط مفتوح لديكم وفي ملح الاماثل من يلاح

فكتب بوجندار للقباج بالحكم الذي صدر لصالحه:

ظفرت لك البشارة بالنجاح ونجحك في الورى ضافي الجناح

فقل لي حبذا أنعم وأكرم وقم تدع الندامى لا اطراح

وتدع إلى التداني والتهاني بما قد نلت من حكم صراح

بما قد نلت من فضل وفصل على رغم الوشاة مع اللواحي

ونعم الفصل من حكم حكيم قضى لك وفق بل فوق اقتراح

قضى لك وهو فينا خير قاض بما قد جاء في الكتب الصحاح

لتشكر فعله بل فضله إن رأيته في غدو أو رواح

وقل للخصم قم تقضي حقوقا ودع عنك الجدال مع الكفاح

وهات بنا إلى روض أريض يطيب به اغتباقي واصطباحي

على نغم المثالث والمثاني وتصفيق الغصون مع الرياح

على صدح البلابل حيث تشدو وتشكو بالعبارات الفصاح

على نهر كقلب الحب صاف مصاف بارد عذب قراح

على ورد الربى من بين زهر بسيم الثغر مفتر الأقاح

ومن بين الحبيب ولا رقيب سوى ما كان من كاس وراح

فإن وفى بذا فالأمر باد وإلا فا لسلام على السماح

فأجابه الشاعر القباج :

ألا يا صفوة القوم الصباح وخير ذوي النجابة والنجاح

ويا بدر المعارف والمعالي ويا أنس ابتهاجي وانشراحي

لقد بشرتني بالنصر صبحا وما أحلى تباشير الصباح

فيا لله من حكم صحيح غدا يزري بمختار الصحاح

نصرت به على من قال: قولي مزاح في مزاح في مزاح

على من خالني جهلا بحالي شبيها بالسراب وبالرياح

أديب العدوتين: وليس بدعا وقدحك في العلا أعلى القداح

أحلت الحكم فيه على أديب حري بامتداحك وامتداحي

قضى بالعدل فيه كما تراه فلاح العدل من أهل الفلاح

وذلك شانه في كل حكم وشان ذويه أرباب الصلاح

وشأنك أيها الشهم المفدى بأهل الفضل والغر الملاح

فكم بالعدل أغنى من فقير وكم بالعلم أحيى من بطاح

ملا بالعدل والعلم النواحي وغيره قد علاها بالنواح

كأني بالغريم أساء فالا بحكمكما وبالقدر المتاح

وخاف من القصاص فقد صبحا إلى فاس بلاد الانشراح

وكيف يفر من حكم بحق عليه به قضى قاضي التلاحي

فأنت وكلينا إن عاد منها عليه وأنت أدرى بالشحاح

وإن وافاك في بعض الضواحي فمره بأن يبادر للضواحي

وإلا قم له واحمل عليه بصمصام اللسان وبالرماح

وفعلك كيفما قد كان يرضي ويحمد اختتامي وافتتاحي

وكتب بوجندار إلى صديقه الشنجيطي:

سلمت سلمت من شر افتضاح فحق الخصم أضحى في اتضاح

تجلى الحكم وانقشعت غيوم ولاح العدل في أفق الفلاح

تأمل منصفا حكم انتصاف فإن الحق أبلج كالصباح

ودع عنك الجدال مع التماري وسامح فالتصافح لا الصفاح

وقل سمعا لما أبداه أقضى قضاة العصر في كل النواحي

وقم هيا بنا لأريض لأريض وحي على اغتباق واصطباح

وجد وقل لنا لبيك أهلا وإياك التخلق بالمزاح

وكتب الشنجيطي مستنجدا برئيس الاستيناف أحمد بن الحواز بأبيات:

رئيس المجلس الأعلى أغثني فقد حكموا ولست بذي جناح

وفي الحكم المسجل ترهات تخالفها المتون مع الصحاح

ألم أك غائبا وله لديهم فصول من شروط واصطلاح

خصوصا والذهاب لربع فاس له وجه ولم يك عن جماح

تمادى القاضيان على ضلال وهما باهتضامي واكتساحي

فكاشحني الغريم وصار يرغوا ويوعد بالرماح وبالصفاح

تأمل في القضية وافصلنها فحكمك لا يعقب بالمزاح

وأجاب ابن الحوات:

وفتني من رباط الفتح خود تغازل صبها شأن الملاح

وقد رفعت لنا استيناف حكم على من لم يجب وغدا سلاحي

فطالعت القضية كيف راجت وما فيها من الحكم الصراح

ولبيت استغاثة من ترجي فصالا ضوءه للحيف ماحي

ولكن ما ارتضيت له اعتذارا بحمله للدعاء على المزاح

فذلك فرع إقرار بوعد وليس لموجب الإقرار لاحي

وأن يتحمل الموعود ما لا تحق له مطالبة اقتراح

وحكم إجابة الداعي شهير ونصه في أحاديث الصحاح

وأن يدع المعين لم يسعه سوى حسن الزيادة بانشراح

وجبر خواطر الأحباب أمر به تقضي الشريعة دون لاحي

وعذر المزح لغو ما سمعنا ثبوت الحق يسقط بالمزاح

وحتى إن يكن في بيت داع مزاح خف فهو على السماح

فراجع ما أشار له خليل بحيث يقول مع لعب مباح

وأما العذر عن سفر بوجه فمحتاج لإثبات صراح

بلى وإذا الأدلة قد تقوت فكيف يسوغ ترخيص انفساح

فقل للفاضل الشنجيطي اقبل قضاء لم يكن به من جناح

وأهل المجد إن مالوا لصلح فطبع المجد يوذن بالصلاح

وقل لهما: أما الإيثار يسمو بأهل البر عن وصف الشحاح

وكل منكما ود أديب لنهج مكارم الأخلاق ناحي

فعودوا للتزاور عن نشاط وفضل أخوة بدل الكفاح

فإني لست أرضى من حبيب يصير لحبه شاكي السلاح

وكيف بذلك المطلوب وافى لفاس وهو لم يقدم لساحي

ألم يعلم بأن الود ينمو ولو سبق اللقاء على جناح

فهذه قصة أخرى عليه بها حق يوفى بارتياح

ومنا أطيب التسليم عرفا على أدباء هاتيك البطاح

فأن المصر بالشعراء ينمو كما بالخصب تبتهج النواحي

أدام الله سلوتهم ووفى مقاصدهم بإقبال النجاح

ما فاس الا جنة ورجالها زهر على أفنانها وثمار

علم ودين وانبساط تجاره وصنائع تنويعها مختار

ولجين لنهار تعم بضلعها فهي المعاصم والمياه سوار

كان اصاب الدهر نضرة حسنها بوخيم ظلم ساحة الاستزار

حتى عدت فوضى رئيس لأهلها حرس بون من الخطوب تجار

لولا قوانين أنت لخلاصها لم تبق في زمن لها اثار

والروح في استحها ان نفسي برجالها اذ كلهم ابرار

ويصان دينهم واعراف لهم فبذاك تكشف عنهم الاندار

وبقاء احباس على جريانها في البر اذ تغييرها اخبار

وتجنب القوم الوشاة فانها ضوء الصلاح يرونه الاخيار

هذي امور اربع ان صادفت حسن القبول بدت لها اسرار

طيب الاحاديث يهدي من تنشاه وفضله لم يعزه من ترجاه

من منطق سبقت بالوحي عصمته وصح إسناده ممن تلقاه

طوبى لمستمع مبناه معتبر معناه مستوضح بالذوق رياه

يرى أدلته الغراء هادية وينتحي في طريق الهدي منحاه

هو المبين للقرآن ممتنع رأي المفسر الا إن توخاه

ما رجعت في جموع الخير رنته الا وكان منال السعد عقباه

لو كان فينا أبو داوود أفصح عن شكر اختتام بربع الملك يرضاه

تاريخه مشرق فالمستضيء به لاشك يقبس منه ما تمناه

اما النسائي فكاد الدهر ينسئه لكن سيدنا أحيا مزاياه

حديث خير الورى جلت روايته وجل مرويه الذي سردناه

في مشهد قدس الايمان مسجده وشرف الله بالتطهير مغناه

مقام خير ملوك الارض من عظمت آثاره وسما في الاوج مرقاه

نجل الرسول الذي لولاه ما عرفت طرق النجاة لمن قد طاب مسعاه

الحافظ الدين في عصر يخلخله والناشر العدل والاغراض تاباه

والباسم الثغر والاعراض عابسة والواسع الحلم حين الضنك ناواه

والجامع السرب والعدوى مشردة والمظهر الفضل حين الدهر أخفاه

والناشر العلم والاراء زائغة والصين العهد حيث النقض نافاه

والباسط الخير والمقدور منقبض والكافل الخلق والابصار ترعاه

ما مثل سيدنا السلطان يوسف في كل المحاسن أمثال وأشباه

لو كان للنجم بعض من محاسنه ما كان يبدو صغيرا عند مرآه

أو كان للشمس من عليائه حصص لم تنكسف بهلال حين تلقاه

حزنا السعادة مذ فزنا بعطفته وأقبل اليمن مذ شمنا محياه

لله من مالك نلنا بخدمته أوفى ذمام يصيب الخصب مرعاه

أبقى الاله على الاحقاب دولته محفوظة طبق ما قد واعد الله

وأخلد الملك في أعقابه وحمى أكنافهم ووقاهم ما توقاه

وأرغد العلماء تحت بسطته حتى يدوم لهم في ظله الجاه

ونسأل الله ألطافا مجددة لامة لطفه بها شهدناه

بجاه خير الورى المختار من عجزت عن حصر وصفه أقلام وأفواه

عليه أزكى صلاة الله ما لجأت له النفوس التي تزهوا بذكراه

وآله الغر والأصحاب قاطبة ما عطر المسك ختما عاد مبداه

قدر الله بعد بين وصالا فسطا مطلع السرور وصالا

وإذا العاشقون فازوا بوصل فحقيق بان يتيهوا دلالا

طالما أسفت عن البين فاس منذ أودى بها الفراق وطالا

فاستحقت بصبرها أن تجازى عطفة وسعادة وجلالا

يوم حلت مواكب الملك فيها تكتسي العز منه والاقبالا

يوم قد رفرفت بنود المعالي ناشرات على الجنود ظلالا

يوم لاحت أشعة النصر فيها فازدهى الكون عندها وتلالا

يوم جلت لطلعة السعد فيها هيئة تعجز الفصيح مقالا

يوم شاقت للوافدين ربوع كجسوم بالروح نلن اتصالا

يوم تستبشر الاهالي بنور لم يدع من دجا الظلام خيالا

يوم تستنصف الحقوق بعدل نسخ اللبس في الحقوق فزالا

يوم ترنم بالبشائر أنفا ض اهلت بمقدم اهلالا

يوم تجتمع الوفود الى سو ق ترقي أشغاله الاعمالا

يوم تستقبل الركائب عيدا جاء مقبلا اليك النعالا

منبئا بمسرة وتهان شاكرا لك في البرور خصالا

يوم تزكوا مواهب الفضل حتى تملا الارض انعما واحتفالا

يوم تبدوا عواطف صالحات محميات من أن تصيب اختلالا

يوم تجلى مطالع الملك حفت بلهام يطاوع الابطالا

وانتظام يسبي العقول سناء وركاب يصاحب الافضالا

واذا أقبل الامام لارض أقبل الخير اثره وتوالا

فاطمئني بالخير يا فاس واهني بعلاه فقد كسيت الجمالا

إن غبطت الرباط فاليوم أضحى غابطا لك ينشد الاطلالا

بعد ما دان قد أدين وفاقا وجزاء من الاله تعالى

فاشكري منة الامام تنالي بهجة لا ترين عنها انفصالا

غارت الشمس منه فاحتلت الميزان   تقبس من حلاه اعتدالا

ملك لو دعى الكواكب لبت   لعلاه وأسرعت اجلالا

ملك لو به استجارت بدور   كان وصم الخسوف فيها محالا

ملك لو يلامس الصخر أمسى   ماؤه متفجرا ومسالا

ملك خلد المآثر لما   مازج العدل عنده الافضالا

ذاك مولانا يوسف المترقي   مقعدا في العلا يعز مثالا

سيد حيثما يحل استنارت   سرج وازدهى النظام اختيالا

ذو وفاء ورحمة واحتفاظ   بالرعايا فلتنعم الناس بالا

سيرة وطدت من الامن ركنا   حصنته حكومة أن ينالا

ومزايا سياسة في البرايا   كافلات أن تصلح الاحوالا

وثبات حرية وإخاء   واستواء في الحق جلت حلالا

ومكارم عمت الخلق حتى   لم يخافوا من الزمان اعتلالا

والرعايا كالزرع إن عاهدته ديم زاد في النمو اكتمالا

صدق الله في نداك لاهل ال علم ولذوي القربى آمالا

وأزال عن العفاة اكتآبا وعن الوعد والوفاء مطالا

وأعان على مصالح يرعى بعد أن تحفظ الاصول كمالا

وأفاد الورى فضائل تمسي مننا في رقابهم وعقالا

هكذا الشأن في معاليك تحيى أثرا منك يعوز الاقبالا

انك الروح والانام جسوم بك تحي وتاس الاهوالا

وبك الدين والعوائد تحمى وبك العدل يسحب الاذيالا

بك يسلك في التعادل رفق مرشد للضوابط العمالا

وبك كل منتم ومحب بحلا الاعتبار يكسى اشتمالا

وبك القاصدون يلقون فيما أملوه سهولة ومنالا

فهنيئا بملتقاك لفاس بعد ما هيأت له استقبالا

وهنيئا لسائر الناس لما حقق الله ما نووه ارتجالا

حفظ الله نخبة الملك حفظا يفعم الغرب منة ونوالا

ورعى الله جانبيه بنصر كان منه على الرضى استدلالا

ووفاه بالمرتجى في بنيه فيرى الكل في المعالي هلالا

قد بدوا أنجما بمرصد ملك واستهلوا في مهدهم اشبالا

ان علي الاله فيما رجونا لعلاه وللفروع اتكالا

بالنبي المختار صلى عليه من له الامر والقضا استقلالا

مبدع الكون من اذا شاء أمرا كان بقول كن له فعالا

وعلى الآل والصحابة طرا ما أطاع المتسلمون امتثالا

انظر جمال الملك تأنقا فاستكست الدنيا به رونقا

قد احكمت في السعد آياته فصار وصف الحكم محققا

من ينكر الاشراق بمغرب فها سنا العليا منه أشرقا

مجددا في الخير معاهدا في ليلة تحي من تشوقا

بمولد المختار قد فتحت من المعاني ما غدا مغلقا

لاحت بأوج الملك بروقها فكان فيها غيث من استقى

وأقبلت تسعى اليها الورى بحيث ليس الفضل معوقا

وتعظم البشرى بمواسم تعم المخصوص والمطلقا

فتشمل الخيرات من ارتجى ويقبس الانوار من اتقى

وتمزج الامداح عناية تصفوا بها أرواح من ارتقى

ويحضر الوفاد بمشهد انظارهم ترنوا له حدقا

تهوى نجوم الافق أن لو هوت من أفقها تسعى له سبقا

يجلي بهاء الملك بصدره كالبدر في مجلاه تألقا

جناب مولانا من به ازدها تنظيم عدل منه توثقا

حسن الثنا للمالك يوسف تنظيم عدل منه توثقا

أجل سلطان أنست به علياه منصورا وموفقا

تحمل الارشاد أمانة بحفظها يعنى من تخلفا

فإنه للدين وللورى مستودع أوفى من ترفقا

بعهده الآمال تعلقت وعزمه يكفي من تعلقا

ليرضي الرحمان بسعيه والفوز بالذخر الذي ينتقى

فانه من فرع نبوة بسرها قد طاب وأورقا

لو ان بدر الافق قد اكتسى بعض المزايا منه لن يمحقا

ألم ترو للملك مآثرا عبيرها للمغرب طبقا

له بحفظ المغرب كفالة لم تترك الاسلام مفرقا

فحزب أهل العلم غدا به معظم المقدار مروقا

وحرمة الاشراف بعزه مصونة القربى فلن تطرقا

وسرب اهل الخير برعيه مؤمن بالضيم لن يلحقا

لكل الرعايا طامحة له ووعده لا زال مصدقا

لانهم طرا لهم ذمة محفوظة بالملك لن تخرقا

دامت له بالله سعادة تنيل آمالا وتمحوا الشقا

وتمنح الرحمى لكل الورى فمن رعاهم خير من اشفقا

والله يبقي الغر انجاله في عزة ترضيه طول البقا

ويلهم التوفيق لكل من أمسى بعهد الملك مطوقا

ويرشد الآراء لكل ما يبدي نجاح السعي منسقا

بجاه خير الخلق (محمد) من لم يصارم حبل من اتقى

صلى عليه الله وآله ما سح رعد الغيث وأبرقا

ان الاله لوعده لن يخلفا   وعليه حقا ان يثيب المنصفا

شمل الخلائق فضله بعناية   ظهرت مآثر سرها واستكشفا

وأجلها في الدهر مولانا الرضى   منذ استنار به العلا واستخلفا

خمدت بطلعته الحوادث وانزوى   عرض الخطوب عن الورى متلطفا

وبدت مظاهر فضله محفوفة   بالسعد تستدعي الهناء المحلفا

أو ما ترى الاعياد تقبل نحوه   لاداء تهنية السرور تشرفا

وعلى الحقيقة انها بوجوده   تكسى الهنا فخرا به وتشففا

فليبق مولانا الامام ممتعا   بسعادة تنكي العنيد المرجفا

تزهوا به الاعياد طيبة الثنا   وأجلها عيد النبي المصطفى

أعظم به وبمن يجدد رسمه   سننا ووصفا بالمديح مشنفا

عيد تحوط به الامام مشاهد   كالبدر في الهالات زايله الخفا

وتزور أفواج الوفود فناءه   فترى به نعما ووردا قد صفا

وتلاحظ الابصار عند شهوده نورا يقوم رصده المتحرفا

مع طلعة الصدر الذي وثقت به مهج الورى عملا وخلقا مسعفا

ومساعيا في الخير ليس يعوقها غرض ونصح يرشد المستوصفا

لله مملكة توثق حفظها بروابط تستاس المتخوفا

ومن السعادة ربط اسباب الهدى بدوافع يحمي البنا أن يخسفا

ويقر حرية وتسوية لها صفة الاخاء علاقة تمحوا الجفا

ويرى احترام ديانة قد اوجبت رفقا يصون الخلق عن ان تتلفا

واقامة لمصالح وتبصرا في وجه حكم بالورى لن يجحفا

زمن يذكرنا تشكر شانه في منقبات عزيز مصر ويوسفا

دام الهنا والنصر حلف امامنا متعاضدين على الروابط بالوفا

بالمصطفى صلى عليه الله ما رحم الاله عبيده وتعطفا

وعلى كرام الآل ما قال امرؤ ان الاله لوعده لن يخلفا

بركاب سيدنا افخري يا تازا   فلقد أقر لوعدك الانجازا

طلعت على ارجاء صقعك شمسه   فكساك نور شعاعها اعزازا

وتقدمت بشرى الغيوب امامه   فالا بيمنه لم يدع اعوازا

واستقبلته من الوفود عصائب   بحماك طبق جمعها الاحوازا

وطئت ثراك لمرتقاة دوالب   من دورة الفلك اجتزت ايجازا

وترنمت بمناخه النغمات عن   فرح يفلك لحنها الالغازا

وكساك منقبة سرادق عزه   كالبدر حق بهالة ليمازا

فاستبشري حيث استجزت فيوضه   فاجاز قصدك بالسرور وجازا

لو ان عبد المومن الكومي درى   هذا لايقن من الرغد الحريم طرازا

بوجود سيدنا المؤيد يوسف   من في مزايا العز ليس يوازا

المكتسي حلل السعود حقيقة   والمبتني للصالحات مجازا

نعم المجدد في الرشاد مآثرا   ترضي المعالي ظافرا ممتازا

أبقى المهيمن للأنام وجوده فيه نحصل للمنى احرازا

{بمحمد} صلى الاله عليه ما منحت بواعث عطفه الموازا

يا فاس تيهي دلالا بطلعة الفرقدين

واستبشري بالتهاني من زورة بعد بين

حلت بجسمك روح منعشة دون رين

لله يوم قدوم مرونق المشهدين

لاحت به للاهالي مراصد الكوكبين

به اشتقاق سعود من مصدر الاسعدين

وطالما النفس كانت طامحة المقلتين

فانجز الله فضلا توفية الموعدين

كما يوفي بعهد يتمم القمرين

عم الهنا كل ارض فازت بقرة عين

واستروح الناس يمنا من قبلة اليمنين

ياما اجل احتفالا اقيم في المعهدين

وهمة لاح منها نور كسى العلمين

من عشرة الملك لما توسطت مركزين

ترقب الناس فالا فجاء بالحسنيين

وكان فالي مشيرا للفوز بالمطلبين

وكيف يظمأ صاد مع استناد لعين

وللكريم التفات لأقدم الزمنين

فمن مضى له عهد في خدمة الوالدين

هل حيث يعجز يبقى منقطع الحصتين

وقد تقدم وعد أرجوه في الحالتين

براتب فيه عون ينفي ضرورة دين

فيا مليكا تسامى عن مطلع النيرين

بك نرى كل عسر يبدل باليسرين

لاشك سؤلي تراه رؤية سهل وهين

دمت كما شئت فردا مهذب المفردين

مع اعتناء مقيم بحرمة الزهرتين

قرير عين ونفس بنخبة الاطيبين

بجاه جدك هادي عوالم الثقلين

عليه أزكى صلاة كهطلات المزين

ما حفظ العدل حقا في كنف الامتين

واسس الفضل حكما سجل في الحضرتين

وتُنيلُ مَرقى الصالحاتِ سُعودا عادتْ تُجدِّدُ بالوفاءِ عهودا

وتُقرِّرُ الآثارَ في صُحفِ العلى لتكونَ في جِيدِ الزّمانِ عُقودا

ببشائرٍ تُرضي النفوسَ وهِمّةٍ ترعى الهدى وتُنجِزُ الموعودا

ومكارمٍ قد سُجِّلَ استئنافُها حكماً بأسرارِ الرِّضى محدودا

زَوّارةٍ ترنو العيونُ لوصلها وترى تجلّي فضلِها مشهودا

هي ليلةٌ لو يستجير بقَدْرها مَحْلُ الأصبح بالغيوثِ مَجودا

ولوِ احْتَمى قمرُ السّماءِ بسرِّها في الأوجِ كان مُحاقُهُ مفقودا

تلك التي لم تنحصرْ آياتُها إذ لاح فيها المصطفى مولودا

خيرُ الورى من لم يطقْ أوصافَه أحدٌ ولم يُدرِكْ لهنَّ حدودا

من فضلِ أمّته به تعديلُها لتكونَ في يومِ المعادِ شُهودا

لله ليلةُ مولدٍ أجرتْ لمن يهوى جنابه منهلاً مورودا

تُزجي النفوسَ بها إلى استمناحِهِ أمداحَ ذكرٍ لم يزل مسرودا

لو كان صلدُ الصخرِ مُستمعاً لها   لم يبقَ جِرمُهُ قاسياً جلمودا

ولَو انّها تُليتْ بإخلاصٍ على   ذي مُعضلٍ نال الشِّفا المقصودا

نعمَ المدائحُ في أجلِّ مشاهدٍ   كُسيتْ من الشَّرف العليِّ بُرودا

ما زال مولانا المظفّرُ يقتفي   في حفظ رونقها البديع جُدودا

بعزيمةٍ تُرضي الإلهَ ومِنّةٍ   عظمتْ تعمُّ أهالياً ووفودا

ناهيكَ من ملكٍ لَو انَّ صفاتِهِ   في البدر دام مُكمَّلاً مرصودا

ملكٌ به تحمي الشّريعةَ عِزّةٌ   وينال نجمُ العدلِ منه صعودا

ملكٌ إذا عبس الزّمانُ رأيتَهُ   مُتهلِّلاً لم يُبقِ فيه كُمودا

ملكٌ إذا المتعرّفون تنكّروا   ألفيْتَهُ لذوي الوداد ودودا

ملكٌ به باهى المشارقَ مغربٌ   أمناً وعدلاً شاملين وجودا

ملكٌ تخوَّل في النّظام سياسةً   أضحتْ لها مقَلُ السّعود جنودا

لو أنَّ مولانا المؤيَّدَ يوسفاً   آوى له يَبَسٌ لأورقَ

أو أدركَ المتجاهلون دفـــاعَه   أمسوا على بُسُط الهناءِ رُقــودا

أبقى الإلهُ على الدّوام ضيـــاءَه   كالفجر فَوّقَ للظلامِ عمــودا

وحمى حِماه وصان دائرةَ العــلى   صَوْناً على نَسَق الهدى محمــودا

ورعى الكرامَ بنيه في دَسْت العــلى   رَعْياً كما يرضى به معهــودا

بالمصطفى صلى عليه الله ما   صاغ اللسان مديحه المنضودا

وعلى الكرام الآل ما أحيا الحيا   في الارض أغوار الثرى ونجودا

أهلاً بوافٍ زار بعد بعاد لما تَحقَّقَ صفوةً الوداد

دفعتْه عاطفةُ السّماح إلى الوفا كالغيث عاهدَ مَربعاً بعِهاد

أبدت مطالعُ نَوْره في رصدها حِكَماً تُصدِّق موعدَ الإسعاد

ما ارتاب ذو الإخلاصِ فيها زورةً جاءت بعَوْد بشائرِ الميلاد

أوَ ليستِ الآيات تشهد أنَّه في النّصر ليس بمُخْلف الميعاد

لاحت بروقُ اليُمنِ منه ومن يَشِمْ بَرْقاً تَيقّنَ عنده بغوادي

لو صُوِّر الميلادُ كان جمالُه كجمال يوسفَ مطمحَ الإمداد

هل لا يمدّ الأصلُ نخبةَ فرعِهِ بخصائصٍ تُنبي بنيل مُراد

نِيطت بحضرته الشريفةِ هِمَّةٌ تُحيي مآثرَ مدحه المعتاد

صدحتْ قُماريها بأفنان العلى فتمايستْ بلواقح الإنشاد

رحِمُ الهدى بمديحه موصولةٌ والوصلُ يأسُ فُجأةَ الإبعاد

مدحُ الرّسولِ ومَنْ لسانُ ذنوبنا لحِماه في يوم المعاد يُنادي

ودّت نجومُ الأفقِ لــــــو حضرت له وتنازلتْ من مطلع الأرصـــــاد

لله مشهدُ عزّةٍ وجل قد وشّحَتْه خلافةٌ بنِجـــــاد

أسدت مواهبُ فضله نِعَماً عـــــلى من زار من جَمْعٍ ومـــــن أفراد

ناهيك بالملك المـــــظفّر غُرّةً رسمتْ جبينَ زمانه بأيـــــادي

أبهى الملوك ومن تشقّقَ طـــــيبُه عن فَوْغة الآباء والأجـــــداد

يزهو بسيرته انتشارُ العدلِ فـــــي غربٍ و«تحريرٍ» بكلّ بـــــلاد

ولنا الرجاءُ بأن يدومَ جنـــــابُه في حسن عافيةٍ حليفَ رشـــــاد

سعداً يحفّ بنيه أقمارَ العـــــلى والمرتقين مناصبَ اسْتعـــــداد

فله أقوم بفرض شكري دائمـــــاً والشّكرُ فرضُ العبد للأسيـــــاد

دلائل حسن العهد في ولي العهد   تخبرنا عن ذلك الجوهر الفرد

بدا وجهه عيدا فجانس في العلى   مطالع عيد الفطر في هيئة الرصد

تجلى صباحا للمصلى تحفه   مواكب إقبال على شارة السعد

بطلعة علياه الوفود تيمنت   فأعظم بيمن كان طالعة الوفد

هلال كسته الشمس في الملك نورها   وللشمس تخصيص الاهلة بالمد

فناهيك من شبل زكي تحصلت   بغرته فاس على غاية القصد

سليل أمير المومنين ومن له   مآثر لا تخفى على القرب والبعد

أضاء علينا ليلة القدر قدره   فلاح غداة العيد في شامخ المجد

أدام إله العرش حفظه سالما   يحقق مامول المعالي بلا حد

وأبقى لمولانا الامام سعادة   وقرة عين ما سرى أرج الند

ومن شاء تاريخ الولاية فليقل   ترقى سليل وازع ناجز الوعد

كلية عمم استغراقها القدر وليس يخرج عن احكامها البشر

نمسي ونصبح والاذهان ساهية والعمر منسحب والوعد منتظر

والدهر مظهر اسرار التكون لم تسكن مطاياه عن سير له عبر

بينا مقام العلا تجري سفائنه في مأمن لم يخالط صفوة كدر

والملك مبتهج والرأي منتهج نهج الصلاح وعرف السعد منتشر

اذ فاجأتنا بالذي انزعجت منه النفوس ورج البدو والحضر

من رزء سيدة لو قيس موطئها لكانت الشمس من علياه تنحدر

لفضلها بحضان الملك منقبة يبدوا على الكون من اسعادها أثر

هي الهيولي التي نالت بصورتها من المفاخر ما تعنوا له الصور

مشكورة العمل المبرور وليس لها في غير نهج المزايا والتقى فكر

غابت فغاب سرور القلب واندهشت منا النهى ودهانا بالنوى خبر

ما كنت أحسب شمسا في الثرى جثمت ولاهيا كل فيها يكمن القمر

سقيا لروضة فردوس لها صعدت أعراق طيب وأعمال فتدخر

وان سيدنا تاج الملوك له جميل صبر اذا ما عيل مصطبر

فهو الاحق بتسليم لما حكمت به المقادير حيث الحكم يعتبر

وان من سنة الاسلام اسوته بجده عند ما تستحدث الغير

لازال سيدنا السلطان مقتطفا في الملك زهر سرور ضمنه الظفر

يحمي بواقية الرحمان جانبه حفظا ويمتد في الدنيا له العمر

والله يبقيه عزا للهدى فنري بفضله أي كسر شق ينجبر

بجاه جده مولانا الرسول على علياه أزكى صلاة ليس تنحصر

وآله وكرام الصحب ما اتسعت رحمى الاله وما أسقى الثرى مطر

وقال رحمه الله في ختمة الحديث الشريف بين يدي جلالة الملك مولاي يوسف قدسه الله:

ختمة للحديث تدعوا افتتاحا فتنال النفوس منها انشراحا

فاح من سردها علينا عبير ما انتشاه السقيم إلا استراحا

واستنارت بها القلوب فأمسى غاسق الليل من سناها صباحا

في مقام يسموا بأوج المعالي رتبة مع فضائل وانشراحا

مشهد الملك الذي من نداه قارنت نعمة الغبوق اصطباحا

من تباهي به الخلافة سعدا في زمان لولاه كان اجتياحا

حافظ الشرع ناصر الدين مهما ضاق أمر إلا حباه انفساحا

من له في العلى مآثر جلت فبأسرارها ترى الكون باحا

فكأن الملوك قبل قياس وهو عنهم نتيجة لن تزاحا

ما لمولانا يوسف العدل كفؤ في مزايا لغيره لن تتاحا

جدد الدين عن كرام جدود وحمى الملك والورى أن تجاحا

لو أبو عيسى أو سليمان كانا حاضرين لاسترشداه انتصاحا

واستزادا التحرير فيما أفادا واستمدا منه الوجوه الصحاحا

إذ روى عنهما الامام المفدى سننا تثلج الفؤاد ارتياحا

جل في البر مشهد قد تسامى للعلى عرفه الذكي وفاحا

مجلس للهدى كهالة بدر فسنا العلم من مراقيه لاحا

حقق الله عاجلا ظن مولا نا وأولاه في الأماني نجاحا

ورعى الأنجم الرواقي منه وأراه في العهد منهم صلاحا

بالنبي {محمد} من سعدنا بهداه الذي يقينا الجناحا

فعليه مع الصلاة سلام ماشدا الطير غدوة أو رواحا

وعلى الآل كلما قال شاد ختمة للحديث تدعوا افتتاحا

فرحا بعيد النحر عاد مهنئا صدر الصدور محمد الجباصا

من انبرت مهج الانام وداده وتاقت في حبه اخلاصا

وتحققت لعل مهداة لهم بوجوده له يشهدوا استقاسا

الا زال جانبه تخيم بسطا ويفعل بسببه لم يدع علما

فاقصص بحر والوزير ليل من ليل على نفع الورى قواصا

عيد جود قرة وسلامه لحاكم لم يك ظله قلاص

متى أودى بساحتك العناء ولم يظهر لعلتك انجلاء

فقل ونقول في النجوى دعاء رسول الله قد عز الدواء

وجسمي كله مرض وداء

واخلص في الولاء له فترعى وتنجح لذيك الاخلاص طبعا

وقل عند اعتلاء السر قطعا رسول الله اني ضقت ذرعا

وحل البأس وارتحل الرجاء

بحقك ارتجي جبرا لصدعي وعافية تقط بخير تقع

ومن بك يحتمي بجاه مرعي رسول الله كيف يضيق درعي

ولي في ذلك الاحمى احتماء

سألت بك الالاصلاح سلني سؤالا ناشئا عن صدق حزم

فأنت وسيلتي ومزيل رسمي رسول الله دار عليل جسمي

فأنت طبيبه وبك الشفاء

وطال بعدي الوى نحيب ولم اظفر بذي عمل مصيب

فأملت الشفا بك عن قريب رسول الله ما لي من طبيب

سواك وأنت لي نعم الدواء

ظهير ولاية توقيت الجامع الاعظم بمكناس وهو مكتوب بخط وإنشاء أبي العباس أحمد بن عبد الواحد ابن المواز، في أسلوب بديع، يجمع الى نصاعة التعبير توجيهات موضوعية، وتلميحات فلكية، ونصه:

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(الحسن بن محمد الله وليه ومولاه)

يعلم من شريف كتابنا هذا الانزال كوكبه في فلك السعادة سابحا، وسماك عزه في سماء المعالي رامحا، أننا –بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته– عينا ماسكة الطالب السعيدي بن محمد المنوني، لخطة التوقيت بمنار الجامع الاعظم بمحروسة مكناس، وقلدناه القيام بوظيفها المبني في الشرع على أساس، وأقررناه في ذلك مقر الطالب الجيلالي الرحالي رحمه الله، وجعلناه في مكانه وأجريناه مجراه.

على أن يسلك في حسن القيام بذلك المسلك المعتبر، ويجري فيه على الضابط المقصود والشرط المقرر، ويلازم المقابلة في التعديل بتحرير المناط وتصحيح النظر: من تعرف الازمنة وأحوالها، والمواظبة على استخراج المطالب التي تحدث مدة انقلابي الشمس وتنعدم عند اعتدالها، واستدامة أخذ الارتفاعات، وارتصاد تفاوت المطالع البلدية بالدقائق والدرجات، واختلاف الظلال والميل والفضلة والغايات، لتحقيق تعديل الساعات،

وتقويم مواقيت الصلوات، المبنية على عرض البلد، الذي عليه المعتمد، وإليه يستند، مع استحضار ما يراد من تعديل الكواكب والدراري، المسخرة في المنطقة الفلكية بالقدرة الأزلية وتأثير الباري.

عملا بمقتضى هذه الخطة الرياضية، وقياما بمشروع حكمها المتردد بين الفرضية العينية والكفائية، لقوله –تعالى– في محكم الكتاب: هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب، وقوله صلى الله عليه وسلم: تعلموا الوقت ولا تكونوا كالذين يؤذنون على أذان بعضهم بعضا.

وأذنا له في قراءة الفرائض مع الطلبة بالمنار المذكور، كما كان من قبله.

وعليه في ذلك –كله– بتقوى الله التي هي نتيجة التعديل، وداعية الاستقامة لأقوم سبيل.

وناسر ناظر الأحباس الكبرى حينه، أن ينفذ له من المشاهرة ما كان منفذا للرحالي قبله، والله يلهمه الصواب فيما كلف به وأسند له، والسلام.

12 ربيع الثاني، عام 1309.

مقامة: النفائس الإبريزية في هدية الفيل الوافد من فخامة الحضرة الإنجليزية

الامبرطورة ذات الشمائل والضخامة الجزرية بالاوئل قدمها داعي المحبة الى انتخاب هدية لمولانا السلطان لم تتقدم لي مثلها لمثله في هاذه الازمان فوجهت فيلا وهو لعظيم السلطنة من أحسن فال ولعضيم القدوتين المهدي والمهدى له مطيل الاذيال وكان هو أيده الله في أثناء وجهته السعيدة من مراكش الى مدينة فاس ناهضا من مدينة الرباط نهوض يمن توالت به المواهب والاوغاس وكان نهوضه أيده الله في الرباط يوم الاثنين سادس وعشرين محرم الحرام الموافق لتاسع عشر من اغشت العجمي فاتح عام تسعة وثلاثمائة وألف عربية محفوفا بالسعادة النيرة والمواهب المزدهرة والاحوال جارية على منتضاه ترضي المحب وترضاه والشؤون صافية ورياح الظفر بعوائق المسرات نافحة وامداد الغرة مشافقة وبنود الرايات بعوائد النظر خافقة ودواعي التهاني بنتائج الاماني حقة بجيوش لم يزل الشعر حارسها والنجاح ملابسها وجفن اللطف وافيها وركن الحفظ حاميها وعساكر مختارة العدد موجودة العدد محال البسيطة بهية جموعهم حدائق غلبا او سماء اطلعت زيانا والاكليلا وشمولة وقلبا وكتائب يضيق الفضا عن سراياه ويعترف الدين بمظاهر قراياها وفي اليوم الثاني من نهوضه أيده الله ورد عليه ذلك النفير المعين من هاتيك الدولة المحفوفة بحلل الرونق والتجبر ومعه رجال من أهل الهند يقودون ذالك الفيل الذي هو أغرب حيوان من أبعد جيل

من العجائب مرءى الفيل اتسل ليؤمه مامضى في الغرب من مثل

يوما به شاهت أنضارنا محبا لم يحكه العقل لولا رؤية المثل

من منظر الفيل اذ جاء النفير به بأمر سلطانة النجليز عن عجل

لحضرة الملك الفرد الذي انشرت ذكرى مزاياه نشر الطيب في الحلل

تاج الملوك سراج الدين سيدنا فخر الهدى الحسن المرضي في العمل

أمست به العلياء عالية وطالما وصفت من قبل بالعطل

لو فاخر الشمس في جاه ومرتبة وطلعة ذيلت من دهشة الخجل

أو ادراك البدر بعض من محاسنه ماكان في الأفق يوما غير مكتمل

لولاه لم نعترف بالحكم في ابد ولم نثق باجتماع الناس في رجل

نال العناصر قمرا في تصرفه بإله فالكون يبدي وصفه منفعل

له مآثر في العليا مشيدة أضحى بها أثر الماضين كالعلل

زادت علاه بوصل الفيل منقبة لولا احتفاظ مزايا السعد لم يصل

مزية لأمير المؤمنين به لم تحثه في الغرب عن ماض من الدول

فأعظم به من فيل مزاحم جادتنا بين زنديبل وابي مزاحم قدم الوافدون به من جناب سلطانه دولتهم النجليزية ورئيسة مملكتهم الجمهورية العظيمة الآثار الفخيمة المقدار التي اعترفت بمزاياها الاجناس والدول وشهدت بامتداد أرجائها الأواخر والأول

راقت لسلطانة النجليز مملكة جلت ضخامتها في سائر الملل
قد اكتست بمزايا لايقاس بها خود الممالك والاجناس في المثل
عريضة القدر قد طالت فخامتها واشتد مساعدها في الزين والعجل
سلطانة تبهر الاجناس صولتها ووصفها في المزايا غير محتمل
لها مفاخر في الدنيا قد اشتقت سياسة وذكاء مثقل
محفوظة العهد والحب القديم فلم تبرح محبة تصبوا ولم تزل

فناهيك من سلطانة قد اتبعت آثارها وتوارت بالمسرات أخبارها وانتظمت مملكتها واتصلت بالفخامة دولة وتضافرت على حسن الرأي بصارقتها وتظاهرت بجميل السيرة أساقفتها وانتشر صيتها لمفاخر الاعيان والوزراء ومآثر الرؤساء والكبراء الذين يوثر عنهم من رونق الساسة مآثر تضيء العقول ومن محاسن السيرة ما تغني درايته عن النقول حتى كان مفاخرها على رؤوس هاتيك المملكة تيجان وكان كل يوم من أيامها لديهم مهرجان ولما قدم الوافدون من

جنابها بالعمل المذكور لشريف حضرة مولانا المنصور زاد بوفادتهم عهد المحبة تجديدا وعقد المراعات والملاحظة تأكيدا وتقررت بذلك مزية عظم استحسانها ورسم على حسن الأيام بيانها لم يدرك في اقليم المغرب لسائر الاجناس مثالها ولا تنسى لهم بادراك السبقية منالها لسناه

لنا الشبه بفيل أبرهة لما انحى مكة في الاعصر الأول

فذاك من حوم للعداة وذا فيل الحسرة والسلوان والجذل

وكان مجيئهم به على الفخر حتى وضعوه بمحروسة طنجة ومنها أتوابه برا لحضرة مولانا الشريفة فلحنوا لمجلسه السعيدة موفورة الجيوش والأجناد شاملة الأعيان الحاضر والبادي فخيمة بين أعراب الشمول وحصين وبين برابر زمور فأمر مولانا المؤيد بنزولهم ونفذ مؤنته عند وصولهم ولما كان من الغد وهو يوم الاربعاء أمرهم مولانا السلطان باحضاره لشهود عجائبه وبالاستعداد بالملاقاة به فتصرفت لذلك صفوف العسكر وخواص الاجناد وحضر سائر العمال والاعيان والرؤساء والقواد وجلس مولانا على شريف إيوانه بداخل سيوانه وأخذت الصفوف بمشوره السعيد مراكزها فكان السعد يوما بمواعد الحسن في هيئتهم ومناجرها

له يوم تلاقي الفيل بمن انحته هيئته عن عدة الأهل

بالملك الظافر العدل الذي ازدهرت أيامه بنجاح منه متصل

الحلم والجود والاقدام شيمته لو تازم النجم ما أعياه في جلل

ان يعف عن مذنب أحيي ان اجله وان سطا كان حتفا دان عن الأجل

يوما من أيده مشهودا بحضرته لمقدم الفيل بين الخبر والخول

في مشه احرف الجند السعيد به واصطفت عسكره المستحسن الجمل

لم تعد فيه صفوف حد موقفها كأنها عقد در غير منفصل

والموسيقى ترجع نغمات واهزاجا وتفي بانبساط الطباع كأن فيها ابن علاجا

ورجعت نغمات البوق رنتها بما يعتد ترف الأمزاج فالكرفل

عشية طلعت شمس السر وربها عند المعالي وشمس الافق في الطفل

ثم أمر مولانا السلطان بتقديم الفيل فقدم امامه بخلقة منتعضمة وزي جميل كأنه مظفة جبل أو خيال غولة ذات حبل أبصر من هدهد وأسمع من قنفد يقرع منه ولا يمنع غيره لفضاعته ولايمنع فيا عجبا لظهوره بأرض المغرب بعد ان كان يسمع به كعنقاء مغرب وعجبا لهاذه القرى والبلدان كيف اتم حيوانها بحيوان السودان ولولا ذلك لما تسنى للإقليم الخامس على هذه

الجزية احتواء لكونها من خصائص خط الاستواء فناهيك به من فيل لو فاجا السليك وعنتر
لأحجم كل عن الاقدام وقصر يسرع في خصاله عن اناك ويطوي الأرض مع ثبات فلا يرى
في سيره انزعاج واضطراب كجبل تحسبه جامدا وهو يمر مر السحاب

أما ضخامة الفيل في عظم فهضبة نحتت من شاهق الجبل
تريك فضع الفيافي ومتبد مثل السحابة ترب وهي بمعمل

كلما رأيته بين الهضاب يخب ويلوح تخبلت بين لجج النظم سعيه نوح وحيثما اجتلاه
النوم قالوا معلنين سبحان أيد نخر لنا هاذا وماكنا له مقرين

فأنه إن مشى في الارض هرولة سفينة تمخر الامواج عن زحل
لله جئت العظمي وجوهره سبحان من قدر الاشياء في الأزل
كأنه أخذ في جمع هيئته من صوت الهنود والخنزير والجمل

له خرطوم يتقلب لقلب الأفعى يسرع به لاجابة الانتقام متى يدعى ويشير به الى
الجهات الاربع ويحتطب به الاشياء التي يريد أجمع

يمد خرطومه لكل ناحية كما تمد يد المنهوم للأكل

يحكي به صورة الأفعى إذا انطلقت عم التوت أو حساما في يدي بطل وهامة تخالها احدى القدور الراسيات أو شعط من الأطال الباليات فما أغلظها من كوة في جبهته لقصر عبده وانقاض قبته وأذنان مشرفتان على قدامه تصطفان كجناح الصقر عند استضارته واستنزاله كأن أذن في الشبيه مروحة في هادية ركنت كالقدر لم تمل وله نابان كمحراثي الزراعة يسامتان ذراعه لولاهما معدن لجوه بر العاج لم يكن له وجود في العالم والشمراج وعينان لم يمتز فيهما بياض من كل كأنهما أفرغتا من إكسير زحل

كأن نابيه فرعادوخي نكسا لولاهما معدن للعاج لم ينل

كأن فاه اذا ابداه منفتحا كهف الرقيم يستوي الصخر بالبصل

وعينه مثل حجر الضب لو رفعت حتى الصواعق لم تفرغ ولم تهان

وله قوائم كسوار مناسقة أو أجسام نخل باسقة اذا هرولت تحسب الارض زلزلت زلزالها وان رتب اوحى لها

له قوائم لم تختر مفاصلها حتى حكين جسوم النخل في الحقل

فيالها من خلقة ماشاهدتها الابصار الأول واعلق الانسان بالتسبح للواحد القهار وعلمه من ذلك الهنود حلية ليس لها في استحسان بداعتها مرية اذ قلده بوشاج نفيس مرصع بالجلاجل والنواقيس وعلى رجليه خلاخل تشاكل وشاحه وتجرها عند المسير نشاطه وانشراحه

جاؤوا به مسرجا يرى ارضهم كالمغرس المشخي في الفخر الحلل

موشحا بنواقيس مجلجلة تحجل المعضمين غير معتقل

وعلى ظهره جلال مسبل على سنامه موصوف بلون المريخ إذا حل من الفلك الخامس بأشرف سنامه وفوقه سرير مفروش من لوح ساجي وصفر مرقوش معد الاستواء الراكش عليه في نمط تبيان الاعمال الهندية اليه

عليه جرم سرير قد اعد الى من يمطيه بديع الشكل والعمل

يظن من ركبوه ان انفسهم في مركب بسيط البحر مرتحل

ولما قدم تجاه مولانا الإمام وعلى قباله يدي جالس يلقنه بالكلام صار يشير بخرطومه لعلي المقام ويظهر من محب التأدب مافيه ملاحظة الاحترام يتقدم ويتأخر وينكص ويتقهقر ويبرك جانبا ثم ينوم ثانيا

يا لو تراه وقد وافى لسيدنا سيدي التأدب فعل الطائع الوجل

فان جثا باركا أبدى لنا طرفه فعل امرئ ساجد له مبتهل

وان تردد اقبالا وقهقرة أدركت منه صفات الشارب الثمل

تظن راكبة اذ قام منتصبا من فوقه يتلقى السمع من زحل

ثم أمر سيدنا السلطان بإحضار الماء له والطعام لنشاهد منه كيفية الشراب والالتقام فانتزع الهنود عنه زي لباسه وهو يثير العجاج بتردد أنفاسه ويختطف الطعام ويرتشف الماء بخرطومه ثم يعطفه حتى يولجه بداخل حلقومه ثم أشار له الملقن باغتسال يديه وجبهته ليشاهد مولانا السلطان عجيب كيفيته فأخذ يسترشف الماء بخرطومه الذي هو من أبدع عجائبه ثم ينفضه على ظهره وبطنه وجوانبه حتى عمم بالغسل جسده واستوفى النظر الشريف من الكيفية مقصده

يستشرف الماء شربا بات ينفضه على مصاله وجنبيه كمغتسل

ثم أعي على صهوته خلاله وسريره ولقنه بالإذن بالاخصر اما خسره

فعند ذلك ادعت المدافع برعود الفرح وقر الكل عينا بهاذه المنقبة الصحبة وانشرح

وارعدت حولها الانفاض من فرح وتمد تعوض منه البرق بالنحل

ينبيك مشهدها عن عز سيدنا بجيش لم يعيه مستصعب الأمل

الله يقيه في غروب وفي شرق ثم تعطه الشمس في يط من الحمل

وفي هناء وتمكين وعافية وسطوة تلحق الضرغام بالورل

وقرة يرتضيه في بنيه على وفق العزائم لم تصف ولم تحل

وقد ألغزت في إسم الفيل ببيتين يروق مبناءها ويوخذ من التصحيف معناهما البنية معناهما فائتناهما تحفة للناظر واستحالة الخاطر

ومعلوس لين ان تصحب حروفه امادت من تصحيف بيت قبل

أرى في ثلثيه وثلثه مثامل لعدة شهر كامل مابه فصل

ولما كان التاريخ حافظا لحوادث الأزمنة والاحقاب وبه تكشف سواقت الوقائع وتستنير الألباب جعلت أبياتا لهاذه المقامة خاتمة مكان تاريخا ناطقا بواقعة الحال لايخلف وعده عند الاستنطاق والايجال وهي هاذه

مزية تسنت للملك العزيز

بالفيل حيث وافى بهيئة التمييزي

من دولة تباهت بالحسن والتبريز

في سنة يرى في تاريخها الوجيز

قبل أتى قويا من دولة النجليز

120 411 117 دو 220 131

وهنا تصوغ منها الختام والله يمتعنا بدوام وجود مولانا الامام ويبقي عزه وتمكينه على مر الليالي والايام وختم في 28 ربيع الثاني عام 1309 انتهت بحديم الحضرة الشريفة ذات السعادة والامتياز وكاتب أوامر ديوانها المحفوف بوقاية النجاح والاعتزاز أحمد بن عبد الواحد السليماني الشهير بابن الحواز بأمر شريف واقتراح منيف بمشافهة وزير الحضرة العالية

ومنفذ أوامرها السامية صدر الوزارة وركنها الساجي السيد محمد بن احمد الصنهاجي حرس الله
حماه برعيه المستدام ووصل عزه بوجود مولانا الإمام جدد الله نصره تجدد الليالي والايام انتهى.

وقال رحمه الله:

عجبا ينكر القيام لذكر الله   ولتعظيمنا للرسول

ومن أجل التعظيم للفلس يمسي   قائما كل لحظة للحصول

من يكن اعتقاده مثل هذا   ليست فيه أهلية للوصول

هكذا ينبغي لطالب علم أن يسير في منهج التحرير

فليصرف سلامة الفهم دو فاه وليجانب تهور التقرير

من كان يكرع في العلوم بجارفاه لاشك تلفه مخطئا ومخالفا

كالماء يوجب رشفه استعذابه والعبث يهلك بالكباد العارفا

حرر بفهمك ما استطعت فمن يكن يعني بحفظ اللفظ غودر تالفا

وانظر سليمان النبي وفهمه في الحكم فهو به تميز عارفا

يا مولعا ببيان فاكتسب أدبا   ان البيان سدى ان لم يكن أدب

سر البلاغة ذوق في مخاطبة   كما ظهورا في الاعمال مكتسب

من لم يكن بكلا الوصفين متصفا   فالعلم عنده كأبي لم يلده أب

يا عالما بأصول فقه لاتكره بالدرس من دون التصرف تقنع

فاعجبن بأبحاث الكلام دقيقا لشامل من مطعومها ماينفع

واعرض على ذاك المحك نفودها ان كان في روجانها لك مطمع

وافرج تراكيب الكلام بصرفها وعلى قواعدها فقيس مايسمع

لتخليص التبر النضار من الذي هو بهرج تزييفه كلا يرفع

لاتحسب التأليف سهلا فتخبط ماقد شنيت جهلا

وتظن انك يقتدى بك ان تقل في الدين قولا

او يبلغ الاعجاب ان كنت لاترى للعلم أهلا

أترى التلاعب باليراع ينيل بالقرطاس فضلا

وتصير ثقل ماترى مع جهل ماسطرت تقلا

من غير موضوع ولا ذوق يجيز الفرق فضلا

وبدون معرفة المقامات التي أسست أصلا

او ليس تدر ان ما سطرته للناس يملى

فالكتب عنوان على أهل الرشاد ومن أضلا

والعلم فاضح زيغة ومميز حزنا وسهلا

ومفرق بين الثقات وبين من لم يبق عدلا

أين التصرف في الحداثة رأيك أين ما تكتال كيلا

أين الدروس وأين ما أعياك فهمك فيه شغلا

هل ماعلمته قد أجا دك ان ترد العلو سفلا

حتى مسست جناب مو لانا الرسول وسوت فعلا

من ذا الذي لجاك يا هذا لما يضنيك ثقلا

أولى بعلمك ان تسير بنهج من سلفوا وأولا

فانظر لما سطرت هل من شؤمه حصلت نيلا

من كان يذكر بالثنا وأهان دينه صار يقلى

راقب الاهك واعتقد ماقلت قد خطا المحلا

واستشفع المولى الرسول وقم لذكره واسع طولا

ولتقتف السلف الاولى هم في الورى اهدى واعلا

مانحن حولهم سوى حجر التيمم في المصلى

فجميع من ناواهم يمسي جناه كطعم دفلى

وجميع من يزدر بامته على عقب تولى

وجميع من قد خطا العلماء عن رشد تخلى

وجميع من قد فارق الجمهور حل عراه حلا

والامر بالمعروف بابه واضح لم يخف سبلا

والنهي موضعه المحرم دون ما في الشرع حلا

لاسيما في باب تعظيم الذي قد فاق رسلا

فالخوض فيه جراءة والمجتر في النار يصلى

والفرق بين مقام اجلال وحكم قد تجلى

فالحكم نقلا يقتفى وادلة التوحيد عقلا

ويعم كل ما أضيف له ومن عهل قبلى

وجناب تعظيم الرسول هو الاساس لمن تحلى

لم يستطيع أحد ليقدر قدره قولا وفعلا

اذ لم يكن حصر له فعلى حساب الحب يحلى

فمتى دعيت الى القيا م فكن به احرى واولا

ومتى ايت تعصبا امسيت للاحباط أهلا

والله يلهمنا ويغفر للذي أخطا وزلا

اذا كنت في وصف المحبة صادقا فلا تك الا للقيام مسابقا

ايذكر ميلاد الرسول ولم تجد بصيرتك استحضار ماكان خارقا

متى حرك التعظيم أشباح معشره اليه ولم ينهض حسبت منافقا

وهل يستبدي بالسابقين مخلف ومن خانه شوق بمن كان شائقا

وهل يستوي من كل مبالي بمن غزاه لهمته العظمى طموحا ورامقا

وهل يستوي من هاب قدر جلاله بمن لم يهب قدرا ولم يخش عائقا

وهل يستوي من لم يرح اريج اشذاه بمن قام للعرف المؤرخ ناشقا

وهل يستوي الملقي بنفسه للعدا ومن صار بالانكار والنهي ناطقا

وهل يستوي من قام يرقب وصلة بمن صيرته المقعدات مفارقا

وهل يستوي من فوض الامر بالذي تحكم واستعدى ورد الحقائقا

وهل يستوي من لم تقمه بواعث بمن قام للرحمن مسوقا وسابقا

وهل يستوي المستغفرون لذنبهم ومن الزمته النفس ان كما يوافقا

وهل يستوي الراجي لنيل شفاعة بمن ظن اعمال الرجاء بوائقا

وهل يستو اهل التأدب بالذي تبجح محالا وضم المرافقا

وهل يستوي من نطقه اباية بمن صان للعهد القديم مواثقا

وهل يستوي أهل التضرع خيفة بمن كان يالي معرضا ومشاققا

افي جانب المختار ينطق ناطق بتقصير حق او بما ليس لائقا

بلى فليراجع نفسه كل غافل ليترك عنه في المقال متقاشقا

والافقي يوم القيامة ان اتت وفود الرضى لم يتبعهم مرافقا

ألم تر ان قامت اليك أحبة فمن لم يقم اني تعده وامقا

ولو فرض الانسان انه لم يكره دليل فهل ترضى القعود خلائقا

ومن يتأدب فهو خير من الذي اراد امتثالا كل يكون مطابقا

ففي القلب سر الحب لم يبد له سوى تحرك اعضاء نهض سوابقا

وأحرى اذا كان المقام كما ترى فقم واجتهد واسئل لترضى خالقا

اتقوا الله ايها الحاسد وناه   في الذي صار في الثرى مرفوقا

ليس للجن في سوى الحي صرع فاذا مات كايلا في الجنونا

حسبكم الاثراء بالجن ظلما كيف زدتم وصرتم تعتدونا

قبح الله كل حاسد نعمى وحرام ان يفلح الحاسدونا

انما هم جمر يعش سواهم ثم هم بلظاه يحترقونا

بخطه ما نصه : الحمد لله، مما ينسب للفقيه الأديب، الشاعر الأريب، سيدي الحاج إدريس السناني رحمه الله :

جَانِبْ أَخَا اللُّؤْمِ مَا اسْتَطَعْتَ مُعْتَزِلاً * وَاصْرِمْ حِبَالَهُ إِنْ أَتَى وَإِنْ غَابَا

هُوَ الَّذِي قَدْ تَرَاهُ حَالَ نِعْمَتِهِ * يَرَى الرُّؤُوسَ مِنَ الأَطْرَافِ أَذْنَابَا

وقد خمسها الفقيه الأديب سيدي العربي بن حميدة الشرقي بقوله :

يَا مَنْ غَدَا لِهَوَاهُ الدَّهْرُ مُمْتَثِلاَ * وَمِنْ مَحَاسِنِ مَنْ قَدْ فَاتَ مُشْتَمِلاَ

وَرَامَ بَدْرُ الدرى العَلْيَاءُ مُكْتَمِلاَ * جَانِبْ أَخَا اللُّؤْمِ مَا اسْتَطَعْتَ مُعْتَزِلاَ

وَاصْرِمْ حِبَالَهُ إِنْ أَتَى وَإِنْ غَابَا

ذَاكَ الَّذِي قَامَ فِي أَثْنَاءِ نَشْأَتِهِ * لاَ يعرفُ الفَضْلَ مِنْ أَبْنَاءِ أُسْرَتِهِ

وَإِنْ تَسَلْ عَنْهُ فِي مِيدَانِ وِجْهَتِهِ * هُوَ الَّذِي قَدْ تَرَاهُ حَالَ نِعْمَتِهِ

يَرَى الرُّؤُوسَ مِنَ الأَشْرَافِ أَذْنَابَا

وكان خمسها الأديب العدل سيدي غيلان رحمه الله :

يَا مَنْ غَدَا بِالدَّرَارِي السَّبْعِ مُنْتَعِلاَ * وَبِالمَحَامِدِ طُولَ الدَّهْرِ مُحْتَفِلاَ

كُنْ لِلَّذِي قَالَ أَهْلُ النُّصْحِ مُمْتَثِلاَ * جَانِبْ أَخَا اللُّؤْمِ مَا اسْتَطَعْتَ مُعْتَزِلاَ

وَاصْرِمْ حِبَالَهُ إِنْ أَتَى وَإِنْ غَابَا

تُنْبِئُكَ أَفْعَالُهُ عَنْ خُبْثِ مَنْبَتِهِ * يَرَى المَكَارِمَ فِي إِبْعَادِ عِشْرَتِهِ

ثَوْبُ الدَّنَاءَةِ مَلْفُوفٌ بِنَشْأَتِهِ * هُوَ الَّذِي قَدْ تَرَاهُ حَالَ نِعْمَتِهِ

يَرَى الرُّؤُوسَ مِنَ الأَشْرَافِ أَذْنَابَا

كما خمسها الفقيه العلامة الأديب الكاتب سيدي أحمد بن الحواز حفظه الله

بِالعَقْلِ كُنْ عَنْ دَوَاعِي الأُنْسِ مُعْتَقِلا * تُصْبِحْ عَلَى صَهَوَاتِ الزُّهْرِ مُنْتَقِلا

لَوْ أَنَّ لِلنُّصْحِ نُطْقاً قَالَ مُرْتَجِلا * جَانِبْ أَخَا اللُّؤْمِ مَا اسْتَطَعْتَ مُعْتَزِلا

وَاصْرِمْ حِبَالَهُ إِنْ أَتَى وَإِنْ غَابَا

فَالطَّبْعُ أَسْرَعُ مَا يُعْدِي بِأُلْفَتِهِ * فَاخْتَرْ لِطَبْعِكَ مَنْ تَسْمُو بِحُلَّتِهِ

وَاهْجُرْهُ لَمَّا طَغَى مِنْ جَهْلِ رُتْبَتِهِ * هُوَ الَّذِي قَدْ تَرَاهُ حَالَ نِعْمَتِهِ

يَرَى الرُّؤُوسَ مِنَ الأَشْرَافِ أَذْنَابَا

وكان محمّد تنبّأ بالحرب العالمية الأولى التي اشتعلت شراراتها سنة (1914م)، فنظم في ذلك شعرا قال فيه:

وَقائلةٍ ما في طَواياَ زماننا ... فقلت لها قولاً لِمن يتفرّسُ

أراهُ بطول السّلْم قد ضاقَ صَدْرهُ ... فهمّ بزَفَراتٍ بها يَتَنَفَسُ

الحمد لله الذي شرف بالعلم ماهية الانسان وجعل من كمالاته تصرف الفكر وبيان اللسان كما شرف النسب الطاهر على سائر الأنساب وأودعه من الأسرار اللاهوتية ماتعجز عنه الالباب والصلاة والسلام على أفضل الخلائق الهادي الى أقوم الطرائق الامر بطلب العلم ولو بالصين وبتعلم الأنساب التي هي للأرحام وصلة وتحصين وعلى آله الفضلاء الكرام وأصحابه بدور التمام أما بعد فلما أتحفني صفينا المنبع الغزير الطالع المنير المتضلع في الحديث والأخبار المتمهر في علم الشريعة وحقائق الاسرار المتصف بأكمل الفضائل وأشرف الشمائل العلامة الأجل سيدي عبد الحي ابن الشيخ الرباني العلامة القدوة الذي اشتهرت كراماته وجلت أن تستقصى خصائصه وكمالاته مولاي عبد الكبير الكتاني أدام الله به نفع العباد في كل وقت وناد بمطالعة تأليفه الأنيق الذي سماه بالمظاهر السامية في النسبة الشريفة الكتانية فتمتعت النظر في حدائقه المزهرة واستطعمت المهجة من شجراته المثمرة واكرعت الفكر في موارده المستعذبة وتلذذت بفوائده ونوادره المستغربة وروحت النفس بما افاده من المآثر الجامعة بين التسلية للحزين والاستسلام لقدوة القادر الملمة بما اقتضته حكمة الله لخواصه من الابقاء الذي هو في الحقيقة تقريب واجتباء والمفحصة بما خص الله به تلك النسبة الشريفة الطاهرة مما تكفلت به الآيات القرآنية والأحاديث المتواترة فكل مطنب في وصفها موجز وكل ذي باع يقصر حول جنابها المعجز فلا يبقى إمكان الممكن الا في استحسان ما اشتمل علية التأليف المذكور من الفوائد مع جمع النظائر وغرر الفرائد التي

يبتهج بها من له بالتاريخ إلمام ويستعذب بها كل ذي ذوق بكواعب المعارف المستهام فلله دره من جامع للشمل كان أشتاتا وصادع بمذكرات تزيد الحوس تحققا وثباتا ولا غرابة في ذلك حيث من معادنها تستخرج الدرر ومن بواسقه يقتطف الثمر أثابه الله تعالى بما هو أهله وجعل اخلاص المحبة من موجبات الاستظلال يوم لاظل الا ظله وقلت في تاريخ هذا التقريض : بسيط

لله تأليف أنفاس منورة للمؤتسي فيه ستر ان تدبره

وعظ وعلم وأخبار وتسلية ومحتد ربنا في الاصل طهره

ومن بشائر بصير قارئه قول المؤرخ عبد الحي بشره

العبد الضعيف أحمد بن عبد الواحد ابن الموازِ لطف الله به ، شعبان الأبر عام 1332

وحضر في منزل الشيخ عبد الكبير الكتاني جماعة من أعيان العلماء في وقت كان ألم بفاس خطب فتساجل العلامة المفتي أبو الفضل عباس بن أحمد التازي والعلامة الأبرع عالم شعراء فاس ابو العباس احمد بن القاضي أبي محمد عبد الواحد بن المواز في خطاب قدموه للشيخ الوالد فقال التازي حسبما تلقيت منه ومن الذي بعده عام 1325

قد حللت مقام المشكورا فلك الفضل زائرا ومزورا

فقال التازي:

ورجونا محياهكم كل خير مابرحتم على الدوام بدورا

فقال ابن المواز:

بيت فضل فكل من حل فيه نال من عطفة النبي سرورا

فقال التازي:

كل من رام أن يحاول امرا كان فيه بحبكم منصورا

فقال ابن الحواز:

طاب جمع قد اهتدى بهداكم فاكتسى من سنى للسيادة نورا

فقال التازي:

وإذا ما حللنا دار كرام كان بالفضل سعينا مسرورا

فقال ابن الحواز:

قد حوينا بجمعكم كل خير وقضى الله للجميع أمورا

فقال التازي:

فعلى حبكم نموت ونحيا وعليه طوى الإلاه الصورا

الحمد لله الذي جعل كلمة الحق هي العليا، وأرشد المؤمنين من عباده لاتباع مقتضياتها أمرا ونهيا، وفضل الأمة المحمدية على سائر الملل والأجناس كما فضل آل بيته الكريم على الناس ، وشرف هذا الوجود بمن يرقيه الله من خيارهم منصب الخلافة ، فيتبع في الشريعة والعدل والسياسة سنة جده، ويقتفي في ذلك الكرام أسلافه ، تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم ولاية أهل بيتي، أمان لأمتي.

نحمده سبحانه أن تفضل على المسلمين بالهداية لقبلة الرشاد ، والتمسك بحبل التوفيق والإسعاد، والعدول عن مواضع الزيغ والتفريط والعناد ، ونشكره أن هدى خاصة الأمة وعامتها لتقليد من يوفي بالعهود الشرعية، ويقوم بحفظ الدين ومصالح الرعية.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الذي يؤتي الحكمة من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء.

ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الشفيع في أمته يوم يتميز القاسطون من المقسطين ، والحافظون للأمانة من المفرطين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين اجتهدوا في كشف غياهب الضلال، وكانوا يميلون مع الحق حيث مال، ولا يحابون من يتساهل في أحكام الشريعة بحال.

أما بعد: فإنه لما أراد الله تعالى أن يزيح ليل الجهالة عن عباده، وأن يجدد الدين بمن يطلعه شمسا في أرضه وبلاده، ليعود عز الإسلام لشبابه، ويبقى استناد الإمارة العلية إلى سنته وكتابه ،

وتعلقها من الشرع بأسبابه، تدارك سبحانه الوجود، وأعز العالم الموجود، واستطارت الأنوار المضيئة للأغوار والنجود، بمبايعة من يعيد الله به شمس الخلافة إلى برج شرفها ، ويرد به نقطة العدل والحلم إلى مركزها، ويحيي به أثر الخلفاء الراشدين، ومكارم الأسلاف الكرام المهتدين، وهو من حاز من الأوصاف الكاملة غايتها ، وبلغ من المزايا الجسيمة نهايتها ، فاكتسى العلم لباسا ، والشجاعة أتراسا، واتخذ العلم أساسا، والحلم شعارا، والكرم دثارا، والدين قواما، والسياسة الشرعية نظاما، مولانا أمير المؤمنين ابن مولانا أمير المؤمنين الذي جعله الله خيرا آية ناسخة ، وأثبت له في الكمالات قدما راسخة ، نخبة الخلافة العلوية ، وجوهرة عقد المملكة الاسلامية ، المحتفل باسمه، في حفظ الإسلام ورسمه ، أبو المعالي مولانا عبد الحفيظ بن مولانا الامام المقدس بالله سيدنا الحسن ابن سادتنا الملوك الكرام ، المقدسين في دار السلام ، لما ألقى الله له في قلوب الخلائق من الحب الجميل ، والاعتقاد الذي هو بنصرة الدين كفيل فحبذا من إمام تهتز لذكره أعطاف المنابر، وتتقلد من شريف دعوته بأبهى من نفيس الجواهر، وتستضيء البلاد بإكليل شرفه الزاهر، وتسكن العابد تحت ظله المؤيد الوافر، أبقى الله أيامه، بقاء يستصحب النصر دوامه وخلد له ولأعقابه هذا الأمر الكريم إلى يوم القيامة ، فانتدب من وقفت بهم مطية التوفيق، على حضرة الإخلاص والتصديق ، وأخذت بهم أزمة السعادة إلى حيث الفوز برضا الله ورسوله حقيق ، من جميع أهل فاس الإدريسية ، لازالت مصونة محمية ، وسائر أشرافهم ورماتهم وعلمائهم وقضاتهم وكبرائهم ونقبائهم ومرابطيهم وصلحائهم وأعيانهم وخاصتهم وعامتهم

وقضاتهم وكبرائهم ونقبائهم ومرابطيهم وصلحائهم وأعيانهم وخاصتهم وعامتهم وكذلك أهل فاس الجديد، لشمول التوفيق لهم والتسديد، على تقليد الجمع ببيعة مولانا أمير المومنين المذكور، المختص بالسعد الباهر واللواء المنصور ببيعة تؤسس على تقوى من الله ورضوان ، ويشهد عقدها الكريم ملائكة الرحمان.

فبايعوه كلهم على الأمن والأمانة ، والعفاف والديانة والعدل الذي يشيد للمجد أركانه، مبايعة شائعة على عقدها الكريم بحكم الوفاق، وعموم الاتفاق، والمواثيق الشديدة الوثاق، وبجميع الأيمان، الصادقة الإيمان، أعطوا بها صفقة أيديهم، ورفع العقيرة بها مناديهم.

وندبوا إليها سائر القبائل التي بنواحيهم، عارفين أن يد الله فوق أيديهم وأمضاها الكل المجموعي على السمع والطاعة، والانتظام في سلك الجماعة إمضاء يدينون به في الجهر والسر ، والعسر واليسر، والتزموها رغبة منهم وطوعا ، واستوعبوا شروطها أصلا وفرعا ، وجنسا ونوعا، خالصة صادقة وعدة من الله بالخير لهم سابقة ، وسعادة بالحسنى لاحقة، أبرءوا عقدها ، وأحكموا عهدها، وعرضوا عليها أفرادا وأزواجا، وزمرا وأفواجا، وناداهم داعي السعادة إعلانا، لقوله تعالى {فألف قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا}

وكيف لا وهو المتصف بالكفاية الشرعية التي بينت في كتب الفقه بأن يكون مهتديا إلى مصالح الأمور وضبطها، ذا نجدة في تجهيز الجيوش وسد الثغور ، وذا رأي مصيب في النصر للمسلمين، لاتروعه هوادة النفس عن التنكيل لمستوجبي الحدود. انتهى.

فقد جعله الله زمام الأمور ونظام الحقوق والقطب الذي عليه مدار الدنيا وهو حمى الله في بلاده، وظله الممدود على عباده ، به يمتنع حريمهم وينصر مظلومهم وينقمع ظالمهم ويأمن خائفهم قال تعالى: {الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف. الآية }

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: {لما نزلت آية أطيعو الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم قد أمرنا بطاعة الأئمة وطاعتهم من طاعة الله} ، وفي الحديث عن مولانا علي كرم الله وجهه: {إمام عادل خير من مطر وابل} وفي الحديث : السلطان ظل الله في الأرض ورمحه، وفي الحديث من أجل سلطان الله أجله الله وفي الحديث المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وفي الحديث: {إن اله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن} وسئل أي الناس خير؟ فقال: السلطان، لأن لله في كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة أموال الناس ، ونظرة إلى سلامة أبكارهم فيطلع في صحيفته فيغفر له ذنوبه.

وفي السراج ليس فوق السلطان العادل منزلة إلا نبي مرسل أو ملك مقرب.

وقالت الحكماء: أسوس الناس برعيته من قاد أبدانا بقلوبها وقلوبها بخواطرها وخواطرها بأسبابها ولا غرو أن مولانا أمير المؤمنين ، الذي انتظمت بيعته في أعناق المسلمين ، أجل من صدقت فيه ظنونهم ونياتهم ، وتوجهت إليه آمالهم وأمنياتهم ، ومدت له الرعية أزمتها ، وقدمت إليه الوفود أعنتها ، راجين من شريف همته ، وكريم عنايته، أن يلبسهم رداء نعمته. وينزلهم ظل كرامته، ويعمهم بسيرة المعدلة، ويشملهم بالحلم والفضل والرحمة المكملة، ويسعى جهده في

رفع ما أضر بهم من الشروط الحادثة في الجزيرات ، حيث لم توافق الأمة عليها ولا سلمتها ولا رضيت بأمانة من كان يباشرها ولا علم لها بتسليم شيء منها وأن يعمل وسعه في استرجاع الجهات المأخوذة من الحدود المغربية وأن يباشر إخراج الجنس المحتل من المدينتين اللتين احتل بهما ويزين صحيفته الطاهرة بحسنة استخلاصهما ، وأن يستخير الله في تطهير رعيته من دنس الحمايات والتنزيه من اتباع إشارة الأجانب في أمور الأمة، لمحاشاة همته الشريفة عن كل ما يخل بالحرمة.

وإن دعت الضرورة إلى اتحاد أو تعاضد فليكن مع إخواننا المسلمين كآل عثمان وأمثالهم من بقية الممالك المستقلة، وإذا عرض مايوجب مفاوضة مع الأجانب في أمور سلمية أو تجارية فلا يبرم أمرا منها، إلا بعد الصدع به للأمة، كما كان يفعله سيدنا المقدس الحافظ للذمة، حتى يقع الرضا منا بما لا يقدح في دينها ولا عقائدها ولا في استقلال سلطانها.

وأن يوجه أيده الله وجهته الشريفة لاتخاذ وسائل الاستعداد، للمدافعة عن البلاد والعباد، لأنها أهم ماتصرف فيه الذخائر والجبايات ، وأوجب مايقدم في البدايات والنهايات، وأن يقر بفضله العيون والنفوس ، برفع ضرر المكوس ، ويحقق رجاء خدامه وكافة رعاياه بالذب عن حرماتهم ودمائهم وأموالهم وأعراضهم وصيانة دينهم وحياطة حقوقهم ، وتجديد معالم الإسلام وشعائره بزيادة نشر العلم ، وتقويم الوظائف والمساجد ، وإجراء الأحباس على عملها القديم، وانتخاب أهل الصلاح والمروءة والورع للمناصب الدينية.

وكف العمال عن الدخول في الخطط الشرعية ، وترك ما أحدث من الجمع المستلزم لاستبداد الرؤساء بتنفيذ مراداتهم في القضايا والأغراض لما تحقق والحمد لله من كمال أوصاف مولانا الإمام، واعتماد المسلمين على كفايته في الأمر الخاص والعام.

فهو أيده الله العضب الكافي، ورأيه العلاج الشافي، ومما يقتضيه حسن سيرته وكمال وفائه جميل الصنع بشريف القرابة وتقريب الصالحين ، واعتبار مقادير الأشراف وأهل العلم والدين وإقرار ذوي الحرمة على ما عهد لهم من المبرات والاحترام ، وظهائر الملوك الكرام، وإبعاد الظالمين، وإخساء المفترين والواشين، ومعاملة المؤمنين، بما تعودوه منه من أسلافه المقدسين، من إيثار العفو والحلم والأناة. وتجديد مآثر الخير في حالة العز والثبات وحسن الظن بسيدنا أيده الله حمل أهل مملكته الشريفة المتيمنين بكريم بيعته المنيفة على أن صدعوا بجلالته بما أثرت فيه مضرته، عالمين أنهم لايكشف مابهم إلا عناية مولانا المنصور وهمته، ومستسلمين مع ذلك إلى الله بالقلوب الخاشعة، ومبتهلين بالأدعية النافعة، أن يعرفهم الله خير هذا العقد الكريم بدءا وختاما ويمنحهم بركته التي تصحبهم حالا ودواما ، لارب غيره ولاخير إلا خيره ، أشهدوا على أنفسكم بما فيه عنهم عموما والواضعون أشكالهم عقبه خصوصا وهم عارفون قدره وأكمله وفي فاتح ذي الحجة الحرام عام خمسة وعشرون وثلاثمائة وألف.

ولما قدم عند الشيخ العربي بن داوود الشرقي السلطان المولى الحسن بأبي الجعد عام 1304 قدم له أبياتا منها:

بشرى لنا معشر الأحباب أن لنا من العناية ركنا غير منهدم

لما أتى الملك الهمام منزلنا سرنا وفزنا بكل الخير والنعم

سبحان من خصه بكل مكرمة وزاده بسطة في العلم والحكم

...

فأجابه بظهير شريف تضمن أبياتا من إنشاء كاتبه الفقيه السيد أحمد ابن المواز:

حييتنا بمديح منك منتظم ناجى الضمير بسر أي مكتتم

إلى أن قال:

ولن نزال على حفظ الذمام نرى ذاك الجناب جنابا غير مهتضم

ولما دخل لخيمة الوزير أحمد بن موسى حين كان ببلاد عمير سنة 1315 ، هرق دواة الكتاب

فقال ارتجالا:

أيا معشر الحضار غضوا جفونكم فاني من الفعل القبيح قريب

هرقت دواة وهي كالكأس بينكم وللأرض من كأس الكرام نصيب

فأجابه ابن الموازن:

بلى فعلك المحمود في أعين الورى جميل وروض العلم منك خصيب

نرى أن إهراق المداد دلالة على مدد قد فاض منك يطيب

وقال رحمه الله في تهنئة المولى عبد الحفيظ بالظفر بأبي حمارة:

جازت لنا البحر أنباء من الظفر   فكان ريح الصبا من نفحة الخبر

أهدت لنا لذي غربة أنسا بشائرها   والأنس حال النوى من نشوة الوطر

وللنفوس بقدر البشر تسلية   والبشر تهواه طبعا أنفس البشر

يا منبئا بفتوح للعلى اتسعت   تفديك وهو قليل قرة البصر

ردد علينا أحاديث السعود بما   نالت جيوش العلى من مسعد القدر

اذ مزقوا زمر الفتان في حرب   وأوقعوا بالاعادي آية العبر

نالوا غنائمها نشا وابنية   واستأصلوها فلم تلجأ الى وزر

حي الحياينة لاهلاك حين بدرا   والبغي يوجب دك الطود من حجر

فشاهدوا كيف تستقصي شواردهم   جرد الصوافر في الاصال والبكر

وكيف تلفظ أنفاس صوادقها   وكيف ينسجم القرطوس بالمطر

وأصبحت فوق أرماح جماجمهم كأنهن خليع الكفت والجزر

تأتي امام الاسارى وفي قرن تحكي الصريم من الاغنام والبقر

فلم يسعهم سوى استقبال توبتهم من ورطة خبطوا فيها على خطر

وان يشنوا على الفتان غارتهم ايان سار ويقفوا مسلك الاثر

ليظهر النصح منهم ان هم صدقوا اولا فندر شهم أجناد مقتدر

وبعدما انسابت الاجناد مكسوة من الحديد لباسا لافح الشرر

مستفرات الاعادي في جبال بني ورياغل مرفقات البيض والسمر

ولم تزل محزفات بالبغاة لها أيد نفز قميص البغي من دبر

حتى أدارت على الفتان دائرة أودت بلومه كسرا غير منجبر

فأستأصلتهم وأعفت كل ما نفست فهوا تسوق الاسارى سوقة الحمر

وكم رؤوس من الفساد قد رفعت على القنا رفع خفض سامج الصور

ونالت العبد طعنا بعدما كشفت للمفسدين ضميرا غير مستتر

فليبشر الساحر الفدان انه في أيدي القوانص أنت منقضى العمر

ومن سعادة مولانا حصول منى كانت متأثرة من بعض منزخر

ناهيك من ملك جلت سعادته عن ان تحيط بها أوهام معتبر

فوضى المعالي في الاقبال همته فلم تزل تستجد الصفو من كدر

حاط الخلافة والايام مقلقة فصانها بالقنا والمال والفكر

وان تكن همم العلياء مصلحة لاغرو تحبى نظام البدو والحضر

لولا عناية مولانا وسيدنا عبد الحفيظ لاودى الغرب من غير

للدين من نصرة عز وتقوية وللورى منه امن كاشف الضرر

علم به تهتدي الاراء ان فرطت وسيرة في جبين الدهر كالغرر

وبسط جود اذا ما البحر فاخره أبصرت موجه يبدي وصف معتذر

من كان في ظله لم يخش تصلية ومن اليه التجأ لم يخش من ضرر

لنا الهناء بأمن المستجير به ومتع ساحته في القرب والسفر

فالله يحرسه حفظا وينصره نصرا يؤلف بين الشاة والنمر

والله يبقيه في أوج العلا قمرا وقد يجل افتخار الاوج بالقمر

بجاه خير الورى من لا تزال له امداد سر على الاسلام منتشر

أزكى الصلاة على علياء ما نفحت ويا نسيم فهزت مورق الشجر

مفاكهة قد عجلت لمن ادعى يكف بها بعد العثار وسائره

فلله منها نبذة كان فيضها من النور فيضا لاتحور مفاخره

وفق بحقوق صدقت بدلائل بها يدحض العاد وتنفى مناكره

بذلك عبد الحي أحيا معالما من الرشد لايبقي بها من يحاوره

فما هو إلا كوكب تهتدي به وبحر من العرفان عز مناظره

ولاعجب في الدر يعلوا بفاسة فمن معدن الدر النفيس جواهره

سلالة اخيار وصنو ولاية وشبل كبير لايرى من يكابره

جزاه الاه العرش خير جزائه على نبذة العلم الذي طاب عاطره

وابقاه بدرا لايجور كماله وروضا انيقا تستفاد ازاهره

لحظات طرفك في مزارع فاس قامت مقام الغيث للأغراس

فلها الهناء بطلعة منك انجلت كالبدر يكشف حندس الأغلاس

في غدوة كسي الزمان جمالها واستبشرت فيها جميع الناس

بسعادة الملك الذي حفظ الورا كم كل ضيم يعتريه وباس

لما بدا من باب بوجات العلا كالليث في أجم من الأتراس

يزجي مواكبه الرضى ويقودها يمن يبشرنا بالاستيناس

ملك تخاله حيث لاح سناؤه ملكا يجل عن التماس قياس

بين الصفوف على أغر مطهم مختال مشي صاعد الأنفاس

حتى اذا حل الجنان كأنه أقوى الاسود أوى الى الأخياس

كمل السرور وآذنت أوقاته بجميل صنع وافر الأرغاس

لله من ملك تود الزهر أن كانت لطلعته من الحراس

فلفضله غير مقيد وعموم يمنه لايخص بناس

نسخت آية الضياء ظلاما فانجلى الحق وانتفى التغليط

كانت الناس قانطين حيارى فبك استبشر وازال القنوط

أنت أقدم رتبة أنت أسنى همة أنت بالوفاء منوط

أنت أدرى بحال كل صديق حاش يظن منكم التفريط

كل عين لم تبتهج بسناكم ليس يعدوا جفونها التكشيط

كل أذن ماشنفتها مزايا منك لم ينتسب لها تفريط

كيف وأنت أحفظ الناس عهدا لذوي الود والثنا مبسوط

فلنا السعد والهنا إذ تولى قطب مفضل غريط

شدت سحرا ورقاء شدو تغرد فأحيت شجا وأفنت تجلدي

فبالله يا ورقاء مالك رعتني وأكمدتني من شجوك المتردد

بكيت بلا دمع فأبكيت دامعا ونحت على ورد فجرعت مورد

لئن كان مابي في الهوى بك مثله فعودي فلم ينكر شجاك وغرد

وإن نحت شوقا للمغاني فإنني أنوح اشتياقا للحبيب محمد

سلكت الهوى برا وخضته لجة وجبته مكارم الحشا جوب متئد

فألفيت أن المحرز النجح من قفا سبيل هوى الفرد النبي الممجد

إليك رسول الله ثارت صبابتي فهل عطفة تشفى بها قلب مكمد

فما كنت أدرى ما الغرام وما الهوى إلى أن ثوى قلبي غرام محمد

ففك حبيب الله أسر عبيدكم عشيق بأغلال الغرام مقيد

يحن إليكم كي يفوز بمطلب ويصبو إليكم صبوة المتفقد

شجيا غدا مضنى الفؤاد بحبكم يبيت بجفن من هواك مسهد

إليك صفي الله سقت وسائلي فجدلي بفضل من نداك مؤبد

لقد صار لي طبعا هواك وشيعة وحسبي به زادا وخير تزود

وإني وقد أرقاك ربك رتبة تعالت فلن تعطى لرسل وهجد

فأنت رسول الله أكرم من مشى على الأرض في بيد وغور وأنجد

نبي هدى للعالمين ورحمة فلولاه لن يهدى من الغي مهتد

بهيبته إيوان كسرى تصدعت ودك له ثدي فلم يتخدد

وأشرقت الأقطار ليل ولاده وفاح شذا فيها شجا كل أنجد

وسرت بها فيها الملائكة العلا وهز له العرش ازدهاء بمولد

ولاحت له فيها براهن فضله وبات بها باب السما غير موصد

بها فخرت كل الليالي وقد غدا بها شهرها بين الشهور كعسجد

على طه خير الأنبياء محمد صلاة بها ننجو من الهول في غد

بدا فمحا رسم الضلالة بالهدى كمحو الدياجي بالسنا المتوقد

هو الأصل في خلق العوالم كلها فلولاه لم تبرز جميعا وتوجد

فمن نوره قد كان كل مكون ومنه تجلى كل نور مجدد

تخصص بالمجد الأثيل وبالعلا على شرف محض طريف ومتلد

وكيف من المولى ارتضاه حبيبه تناهى حلاه عن فصيح ومنشد

له حجج ما نالها قبل مرسل على معجزات أعجزت كل ملحد

حباه إله العرش حوضا وكوثرا وشق له البدر المنير بمشهد

وأيده من محض فضله بالصبا فكان الصبا يصبو على وفق أحمد

وأسرى به فوق البراق أمينه وأدناه والمحبوب غير مبعد

فنال مقاما لايطاول شأوه جلالا وتقديسا على رغم حسد

وأعطاه نصرا باهرا وشجاعة فكان يري فحل العداة كفدفد

بعضب معد للكفاح مصمم فويل العدا ياويلهم أن يجرد

وأتحفه دون الورى بشمائل كروض بهيجات أزاهره ند

وآتاه خلقا يخجل الشمس نوره متى ظفرت عين برؤياه تجمد

وأعطاه في يوم المعاد شفاعة تعم ذوي الإسلام جمعا لمفرد

وأنزل قرآنا عليه مفصلا أصار جميع الملحدين كجلمد

وأعجز منه الإنس والجن آية فيا حسرة العاصي وبشرى لمرشد

وحن إليه الجذع واستأنست به ضباب الموامي والوحوش بفدفد

ووافت له الأشجار تسعى كما جرى بكفه ماء قد روى اللجب الصد

وقد هز عزما حيث لاقى عكاشة فعاد لديه كالصقيل المهند

وقد منح البئر الأجاج عزوبة بتفلته حتى حلا كالمقند

وقد ظللته من ذكاء غمامة وفك بعيرا منه رام ليفتدى

ورد بفضل الله عين قتادة وعافى عليا من قذى به مرمد

وياعجبا في كفه سبح الحصا كذاك طعام منه سبح في اليد

وأمته قد أخرجت خير أمة ويلزم فضل المقتدى فضل مقتد

وأخبره عن سمه عند أكله ذراع فلم تستقص آي محمد

عليه صلاة الله ما هام مغرم بحبه من غير اصطبار موطد

ومنه الرضا عن آله الغر من سمت لهم قدم في كل فضل منضد

ومن زهرت في المكرمات مناقب لهم مثل روض بالأزاهر أملد

ومن حبهم فرض على كل مؤمن وبغضهم يفضي لجمر موقد

هم نسل زهراء ليوم قيامة مآثرهم إن رمتها لم تعدد

بهم تنجلي العاهات عن متوسل بهم وبهم يدنو المنى إن يبعد

بجاههم تجري الأماني لآمل بهم ينفري حبل العويص المصفد

ولا يتهم في الأرض أمن لأهلها وهم في الورى جبر لكل مخضد

مفاخر آل البيت بحر تزاخرت به لجج أن تغترف منه يزدد

ولكنها زينت بفخر إمامنا فنال كمالا في كمال مسرمد

حبانا إياه الله فضلا ونعمة فتهنا به في ظل أمن ممدد

سما حيث لم يدرك فلولا سعوده حسبته كيوانا إذا يترصد

بدا نيرا في الأرض كالنوء شأنه هدى وندى فاستمطرن منه واهتدى

به شرفت مرقى المعالي كأنه لجيم المعالي مهجة لم تبدد

لئن كان من قبل الملوك تقدمت فلم يقس العضب السليل بغمد

فاقرر به جفنيك طلعة كامل بأردية البأواء والفخر مرتد

لسيدنا حلم لوانه للصبا لماهر أوراقا لافنان غرقد

ومجد وملك أحرز عن وراثة على نسب صرد ورأى مسدد

وجود كما صوب الحيا وأناءة وهيبة ضرغام وتنجيز موعد

وبأس فلم تظفر به شهب السما وعلم كبحر بالمعارف مزبد

وخلق كما نشر الكبا وشجاعة بحومة حرب لم تكن عند فرهد

وخلق لو ان البدر قابل نوره كساه شجون من شجي وتحقد

هو القطب لولا أنه كان مفردا بلا شبه ما خلته غير فرقد

فالحمد بمولانا الرضى الحسن الحلا تنل خير مأمول وتحظ وتسعد

لكم زان قدر الليل ميلاد جده بإظهار تعظيم له متعود

بإنشاد أمداح ووفر ولائم وبذل عطيات وحسن تهجد

وإسراج أنوار وتطييب محفل وجمع محافل فضلهم لم ينفد

فلا زال مزدانا به فضل مولد وزال محفوفا بنصر مؤيد

أسيدنا مالي بمدحك مغرم فصار أنيسي إذ أروح وأغتدي

متى راش ذهني مطردا لمدائح أرى هدفا ذلك الجناب لمطرد

وفيكم ترى الأمداح فخرا لمادح وفي غيركم كالغنج في عين أرمد

أسيدنا هذي عقود نظمتها ونضدتها كالدر في سلك عسجد

ولو لم تفق في ذاتها فلقد زهت بمضمونها زهو النديم بصرخد

وفي نظم آيات الرسول تواصل لخير وتنفيس وسلوى لأنكد

به نسأل الله النجاة ونرتجي بجاهه فتحا للوصيد المشدد

وحفظا وتيسيرا وتفريج كربة وسترا عميما لم يزل يتجدد

وتأييد نصر الله والفتح والعلا لسيدنا الشهم الإمام المحمد

وبالمصطفى كم ساكنات من المنا تحركن لولاه جاهه لم تنود

فيا خير خلق الله عطفا لناظم فرائد آيات لكم متودد

ومدحي لم أحسبه غير زبرجد معاد ومردود لبحر مزبد

كما لم أخل نظمي مديحا لأحمد ولكنما الممدوح نظمي بأحمد

عليه صلاة الله ما ساق سائق إليه ركابا في فلاة وأوهد

صلاة بلا حصر نؤمل فضلها لدى يوم هول رائع وتهدد

صلاة تعم الصحب ما قال منشد شدت سحرا ورقاء شذ وتغرد

تخميس لأبيات أحمد سكيرج قالها في المنام:

قل للذي يقتفي آثار من رشدا = ويرتضي من براهين الهدى سندا

ولا تحد نفسه عن مسلك السعدا = خذ سنة الله بين خلقه أبدا

ولتجعلنها لديك خير قسطاس

واكسب محبة آل البيت مدخرا = فسرها لذوي الإيمان قد ظهرا

وراع لله فيهم حق ما أمرا = ما عظم المرء آل البيت دون مرا

إلا وعظم عند الله والناس

بذاك يرجو ذوا الإسعاد فوزهم = ويغفر الله للعاصين ذنبهم

ويجتبي من ذوي الإخلاص سرهم = فالحظ بعين كمال الفضل قدرهم

واخضع لهم دائما بالقلب والراس

ولما رأيت الشقيقين لأرضهم يبثون حزنا من نواهم مبالغا

عذرتهم عذرا وزدت تشوقا   لمسقط رأسي لم أكن عنه زائغا

ألا ليت شعري هل أدوم ممتعا   به عن رضى أرعى تغاث وزالغا

الحمد لله الذي يسر كلا لما خلق له، وأبرز بقدرته ما خصصه بإرادته وعدله، وألهم الهائمة إلى الديم الدائمة، والعزائم الطامحة إلى استحصال المتاجر الرابحة ، وخص من وفقهم بانتهاج مناهج ذوي الخصوصيات والولاية، والترقي إلى معارج أهل الكرامات والعناية ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من اهتدى ، وقدوة من اقتدى به واقتدى ، الذي كانت كرامات الأولياء تأييدا لمعجزاته وتصرفاتهم في العناصر الكونية من دلائل آياته ، والرضى عن آله وأصحابه، الحافظين لأسرار حقائق عرفانه، والصادعين بأحكام شريعته وبيانه، وبعد فيقول عبد ربه، ورهين كسبه ، أحمد بن عبد الواحد ابن المواز السليماني نسبا الفاسي منشئا ودارا ، قد سرحت سوام النظر في تأليف محبنا الخير الدين الفقيه العام المتحلي بمحاسن الشمائل ، المقتطف لثمار العلوم من يانع الأفنان وملتف الخمائل ، الكاتب البارع، السيد عباس بن إبراهيم المراكشي ، فوجدته روضة أخذت زخرفها وازينت ، وتبصرة تشاكلت فروعها وتبينت، جعله في مناقب ساداتنا سبعة رجال ، المشهورين بكمال المقامات والأحوال ، تأليفا يود الذهن أن يدوم له أنيسا، والنفس أن تجعله لتعقلاتها عقدا نفيسا، ألم فيه بما تفرق في عدد كثير من التآليف، وحرر فيه التحليات والتواريخ والكرامات والتعريف، وأتى من ميزات النوادر الأدبية وتعصيبات الفوائد العلمية بالتالد والطريف ، فوفى للعزائم برغائبها، وأكرع هيم الهمم في مشاربها ، جالت منه في آجام الخصائص أنامل حاطب ، وقابل مقبولات آثارها المحررة بهمة خاطب ، لم يترك نقلا إلا أسنده ، ولا احتجاجا إلا أيده ،

وسلك في شرح قصيدته الرائية ، مسلكا جامعا بين الاشارات والفنون الالية ، وختم بجوامع الابتهالات والأدعية، والتوسلات المرضية، وذيل بما فيه للأرواح تصفية ، وللخواطر تسلية، فكان تأليفا في موضوعه كافيا ، وبمواعد العناية والاعتبار وافيا ، نسئل الله تعالى أن ينفعه ببركات أولائك الأقطاب ، ويلبسنا وإياهم من أسرار كراماتهم أفضل لباس وخير جلباب، وأن يداركنا سبحانه بعنايته ومحبة خير خليقته، مداركة تسلخ الطبائع من غواشيها، وتطهر الهمم من الالتفاتات لعوارض تلاشيها ، حتى نغترف من موارد صفائهم ، ونستظل بمديد أفيائهم، ونتعالج بسؤر أذواقهم ، والتخلق بأخلاقهم ، فباب عناية الله للمخلصين مفتوح ، وعزم الحوس لتلقيات المواهب اللدنية بواسطة الأنوار المحمدية طموح ، كمل الله الرجاء المبني على صدق النية والتسليم، ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم ، وقد تذكرت بهذا تأليفا في مناقب هؤلاء الأقطاب الكمل ، كان ألفه والدنا رحمه الله عام سبعة وتسعين حين ولايته القضاء بمراكش، وهو بالخزانة الملوكية هنا بفاس من عهد مولانا المقدس مولانا الحسن نعمه الله ، ونسئل الله تعالى أن يتجلى بألطافه على هذه الرعية الاسلامية ، ويؤيد مولانا أمير المومنين بتأييدات ربانية، ويصلح به وعلى يديه ، إنه ولي ذلك والقدير عليه ، والحمد لله رب العالمين. وفي ثاني وعشري رجب عام 1326 ه.

قضى ابن موسى وزير الملك أحمد من تبقي مآثره في السن الزمن

وسط المحرم من عام يؤرخه فالخير زف من واهب المنن

ولله در الفقيه العلامة، الكاتب الأول للجناب السلكاني، البارع في الصناعتين، والحائز للفضيلتين، أبي العباس سيدي أحمد بن عبد الواحد ابن الحواز السليماني، حيث قال مرتجلا، وهو أحد من حضر ذلك المجلس الحافل:

أبى الدين إلا أن يؤيد ناصره وتشرق من بعد الخفاء مظاهره

وينجز وعد الله فيه بعزة يقوم بها من تستنير سرائره

ويحمى على رغم المكايد ركنه وتشرق من بعد الكتئاب بشائره

ويجبر من حنث عقائد صدقه إلى جبر ما يخشى ويكسر كاسره

ففي الحشر قد ينفى عن الحوض خائر يقهقر مرتدا ويجزيه قاهره

قواعد نصر جدد الله حكمها بمن نسخت رسم الفروق قاهره

إمام بدا كالصبح والليل داهم فزيحت بأنوار الضياء ستائره

إمام همام للأمانة حافظ بغيرة دين لا يرى من يغايره

إمام تلافى عرش أسلافه وقد تداعت بكيد الكائدين معاصره

وصان الرعايا حيث صارت كأنها صريم بسوء الرعي تاهت نوافره

فداركها لطفا بهمة مخلص ونجدة حام لا تفل بواتره

وعلم تجلى للهداية نجمه وفضل تعم المخلصين سواطره

وحلم تحوط المومنين ستوره وباس تسوم المعتدين بوادره

وصرخة مقدام إذا اضطرم الوغى تحف بنصر لا يزال يظاهره

لسيدنا عبد الحفيظ خصائص ووصف كمال ليس يحصيه شاكره

إليه قلوب المسلمين توجهت على رغبة قد قلدتهم أوامره

فدانوا له واستصرخوه لدينهم ولولاه ضاعوا واعترى الشعب ضائره

وقاموا بأمر واجب كان كلهم قد انطبقت قدما عليه ضمائره

فلا يدعي إكراههم غير من له دسائس تقرير جلتها مخابره

كأن له جهلا بأسباب ما جرى بلى فهو سماع لذاك وناظره

فما زعمه إلا لإدراك غرة تفك العرى، والله للدين ناصره

ويكفيه في بسط الردود وشرح ما جرى في الورى: هذا الكتاب وناشره

"مفاكهة" قد عجلت لمن ادعى يكف بها عير العثار وسائره

فلله منها نبذة كان فيضها من النور فيضا لا تحور مفاخره

وفت بحقوق صدقت بدلائل بها يدحض العادي وتنفى مناكره

بذلك عبد الحي أحيى معالما من الرشد لا يبقى بها من يجاوزه

فما هو إلا كوكب يهتدى به وبحر من العرفان عز مناظره

ولا عجب في الدر يعلو نفاسة فمن معدن الدر النفيس جواهره

سلالة أخيار وصنو ولاية وشبل كبير لا يرى من يكابره

جزاه إله العرش خير جزائه على نبذة العلم الذي طاب عاطره

وأبقاه بدرا لا يحور كماله وروضا أنيقا تستفاد أزاهره

بجاه الذي نرجوا شفاعة حلمه لدا الحشر إذ يستنفر الكل حاشره

عليه صلاة الله تشمل آله   صلاة تنجي الخلق مما نحاذره

قلم المشيئة تجز الموعودا وعلى المقدر قد أفاض وجودا

أرضى الزمان وأهله بولاية للعهد كان هلالها مرصودا

فكأنما انتشت العوالم عنده أرجا تكون في الصعود سعودا

واستكملت صور السرور مزاجها فبدت تهلل أوجها وخدودا

وافتر من ثغر للسياسة مبسم قد لاح در نظامه منضودا

واذا زكا شرف القياس فواجب أن يستقر نتاجه محمودا

فرع الخلافة لا يزال رواقها أبدا على تأييده ممدودا

فليهن سيدنا الامام بانه من بحر شبله يبلغ المقصودا

وليهن مملكة العلا بابي العلا طولا وطولا في الوجود وجودا

وليهن أفق قد زهى بطلوعه فغدا لجانب فخره معدودا

ولتهن مهجة كل ود خادم حفظوا معاهد للعلى وعهودا

بالمصطفى صلى الاله عليه ما أسقى الحيا روضا وأورق عودا

ومتى ترد تاريخ عهد أبي العلا فاعجب لابلج يومه مشهودا

عادت تجدد بالوفاء عهودا وتنيل مرقى الصالحات سعودا

وتقرر الآثار في صحف العلى لتكون في جيد الزمان عقودا

ببشائر ترضي النفوس وهمة ترعى الهدى وتنجز الموعودا

ومكارم قد سجل استينافها حكما بأسرار الرضى محدودا

زوارة ترنو العيون لوصلها وترى تجلي فضلها مشهودا

هي ليلة أو يستجير بقدرها محل لاصبح بالغيوث مجودا

ولو احتمى قمر السماء بسرها في الاوج كان محاقه مفقودا

تلك التي لم تنحصر آياتها اذ لاح فيها المصطفى مولودا

خير الورى من لم يطق أوصافه أحد ولم يدرك لهن حدودا

من فضل أمته به تعديلها لتكون في يوم المعاد شهودا

لله ليلة مولد أجرت لمن يهوى جنابه منهلا مورودا

تزجي النفوس بها الى استمناحه أمداح ذكر لم يزل مسرودا

لو كان صلد الصخر مستمعا لها لم يبق جرم قاسيا جلمودا

ولو انها تليت باخلاص على ذي معضل نال الشفا المقصودا

نعم المدائح في أجل مشاهد كسيت من الشرف العلي برودا

ما زال مولانا المظفر يقتفي في حفظ رونقها البديع جدودا

بعزيمة ترضي الاله ومنة عظمت تعم أهاليا ووفودا

ناهيك من ملك لو أن صفاته في البدر دام مكملا مرصودا

ملك به تحمى الشريعة عزة وينال نجم العدل منه صعودا

ملك اذا عبس الزمان رأيته متهللا لم يبق فيه كيودا

ملك اذا المتعرفون تنكروا ألفيته لذوي الوداد ودودا

ملك به باهى المشارق مغرب أمينا وعدلا شاملين وجودا

ملك تخول في النظام سياسة أضحت لها مقل السعود جنودا

لو ان مولانا المؤيد يوسفا آوى له يبس لأورق عودا

أو أدرك المتجاهلون دفاعه أمسوا على بسط الهناء رقودا

أبقى الإله على الدوام ضياءه كالفجر فوق الظلام عمودا

وحمى حماه وصان دائرة العلى صونا على نسق الهدى محمودا

ورعى الكرام بنيه في دست العلى رعيا كما يرضى به معهودا

بالمصطفى صلى عليه الله ما صاغ اللسان مديحه المنضودا

وعلى الكرام الآل ما أحيى الحيا في الارض اغوار الثرى ونجود

الحمد لله الذي جعل العلم شرفا للأقدار، وسبيلا للنجاة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المنزل عليه، (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)، وعلى آله أسوة الاقتداء وصحابته نجوم الاهتداء وبعد، فلما أتحفني حبيبنا العلامة البارع، المدرس المطالع، ذو الخلال الرائقة والشمائل المتناسقة، أبو العباس سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، بمطالعة تأليفه: (شرح الشافي في العروض والقوافي)، سامرت خرائد معانيه، وأجلت النظر خلال مبانيه، فألفيته بحيث لو اتصل بالخليل لاتخذه خليلا، ولو غنم بصر الأخفش لما ابتغى عن العلاج به بديلا، ولو هز نخلته ابن مرزوق لنال من بسرها ارتزاقا، ولو طالعه ناظم المتن لفتح لسليله أحداقا، وقال: هكذا يحيي الخلف أثر السلف سيرا وفاقا.

فما هو إلا منهل طاب ورده ... ومرعى لرواد المناجع يقصد

تزف به خود العروض عرائسا ... وزهر القوافي من مراقيه ترصد

وضمن من صرف ومن لغة ومن ... بيان وآداب أساليب تحمد

ومستدركات يقدح الفكر زندها * ومستطردات للبراعة تسند

زها به تقريض يؤرخه وفى ... * باتقانه نيل سكيرج أحمد

وبالجملة، فلله در صاحبه من مشارك أديب، وظافر من أسباب البلاغة بأوفر نصيب زاد الله في معناه، وأثابه على نيته الصالحة فيما حرر مضمونه ومبناه، وأورده وإيانا من رضى الله منهلا صافيا، وألحقنا وجميع عباده من لطائف ستره ثوبا وافيا، بجاه سيد الأنام، عليه وعلى آله أزكى الصلاة والسلام.

الحمد لله الذي جعل خيار خلقه هدايتهم، وأهل النهاية قادة لذوي البداية وحمايتهم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الواسطة العظمى، ومنبع الكمالات التي ليس وراءها مرمى وعلى آله وأصحابه الحافظين لودائع أسراره المقتفين في الحقيقة والشريعة لآثاره.

وبعد: فإن التأليف الجليل الفوائد المتضمن لنفائس الجواهر، وبدائع الفرائد المسمى بنعت البدايات، وتوصيف النهايات تأليف سيادة الشيخ الكامل، وقدوة العالم والعامل العارف المربي الموصوف بمقام تجليات الشهود، وكمال الإخلاص القلبي البحر الزاخر العلامة الذي هو حفظ النظام العلمي، علامة حائز قصب السبق في ميدان الشريعة، والحقيقة بدون مين مولاي الشيخ الأفضل الشريف سيدي ماء العينين ابن الشيخ الكامل المنعم سيدي محمد فاضل، لما جاد الزمان علينا بارتشاف زلال معانيه، وترديد النواظر في حدائق مبانيه، وجولان الروح في فسيح معانيه، واقتبسنا من مشكاة أنواره، واقتطفنا من بديع أزهاره، والتقطنا نفائس الدرر من بحاره، واتخذناه عدة في انتهاج المسالك القويمة، ومنارا نهتدي به لطرق الرشاد حتى لا نضل من الغياهب البهيمة وجدناه والحمد لله أكمل عدة وأولاها، وأعذب المناهل للمرتشفين، وأحلاها لم ينسج تأليف على منواله، ولم تظفر نفوس المسترشدين بمثاله، وقد من الله بتيسير طبعه بالمطبعة الفاسية عن إذن حضرة الفقيه الكبير، والعلامة النحرير وزير المقام العالم بالله الأعظم، وركن السياسة والفخار الأتم حافظ نظام الصلاح الحريص على نشر العلم، وإعزاز الدين، وتمهيد أسباب النجاح الطالع الأسعد سيدي أحمد بن الوزير الكبير

المنعم سيدي موسى بن أحمد، لازالت الأيام به سافرة عن مباسم الثغور متوالية اليمن، والسعادة بوجود مولانا المؤيد بالله المنصور، ولما تسنى طبع التأليف المذكور المحكم الآيات نطق لسان الشوق في بضع نعوته، وذكر تاريخه بهذه الأبيات.

وصف النهايات يجلى من مباديها وصفوة النفس في استرشاد هاديها

وحلية الفوز في استمداد معرفة من منبع الفيض تستجدي أياديها

ومنية الروح أن ترجى معارجها في العلويات وتحمى من عواديها

فتستنير بأنوار الشهود إذا حدا بها في رحاب الخير حاديها

وفي جوار بحور الكشف تركب عن هدى إذا خلعت نعلا بواديها

وبحور علم فمن يركب سفينتها يشهد مزايا تلبي من يناديها

وكيف لا تقتني من ذخرها نعما والسيد الشيخ ماء العين مسديها

نجم الهداية من حاز الأمانة من علم فأضحى لأهليها يؤديها

صدر المعارف سامي القدر في رتب لدينا بنور الفيض يبديها

له التقدم في رشد وتربية وفي نفائس للأرواح يهديها

له تآليف علم من بساحتها حط الرحال ينل خيرا بناديها

رياض حسن قطوف السعد دانية فيها وللمستقي سحت غواديها

ما شئت من زهر غض ومن ثمر ومن زواهي غصون رن شاديها

أما ترى أن في نعت البداية ما ينفي عن النفس أوهاما ترديها

أهل الحواضر نالوا من هدايته أقصى الأماني كما نالت بواديها

مراتع للقوى الروحانيات متى ترتع بها الروح صدت عن معاديها

أكرم به روضة غناء غارسها سامي المفاخر والآيات باديها

في الطبع تاريخه (سر سري برضى) من مثله فليرو النفس صاديها

وقال رحمه الله لما كان منفصلا من مراكش الى فاس وبها توفي، ولما حل بسلا في حال اختبار لنظار الأحباس بقرتيها – مادحا الامام ابن عاشر وسلا:

إن ترد سؤلك بادر واقصد الشيخ ابن عاشر

واسأل الله لديه تجدن أمرك حاضر

لسلا يسلو فؤادي وبها فاخر وفاخر

وله في ثغر سلا مادحا:

إذا رمت أن تحظى بكل المفاخر عليك ببحر العلم بحر ابن عاشر

إمام همام كامل متفضل نجاح؟ الفتى؟ عن رجل صائر

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الذي شرف الانسانية بفضيلة المعارف. ونور بأشعة العلم أرواحها اللطائف. فهدى أهله لسعادة الحيات. ونتائج الفوز والنجات. بنص {والذين أوتوا العلم درجات} والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الاكوان. الذي اطلعه الله على ما يكون وما كان. والرضى عن آله الاطهار. وصحابته الابرار. أما بعد فقد اطلعني ودودنا الفقيه النبيل. اللودعي الاصيل. ذو الاوصاف الموجبة الاعتبار والاخلاق الممزوجة بالارج المعطار العلامة الاديب الساهر على التقاط الحكمة من كل مرتع خصيب. الشريف السليماني سيدي محمد بن الفقيه المحسن الصالح سيدي محمد ابن الاعرج على هذا التأليف الذي لخص فيه اخبارا محررة. واوجز فيه جملا من العلميات مختصرة. المسمى {باللسان المعرب. عن تهافت الاجنبي حول المغرب} . ملتمسا مني تقريضه بالكتابة ليكون الحكم بعد التصور مؤسسا على الاصابة. وظنا منه أن الاهلية من صفاتي. وان هذا المجال تخب فيه ركضاتي. ولكن بمقتضى حسن نيته. وجميل طويته. رددت في هذا التأليف مسامرة الافكار. وتجسست خلال تلك الديار. فألفيته قد ساق فيه من نبذ التاريخ انسبها. وقطف من ثمرات الادبيات اطيبها. ومن موارد الساسة اجدها. ومن نسمات الانس اشذاها. ومن أحوال أهل المغرب أغناها عنوانا. ومن وقائع اجياله ما لم يعوز بيانا. فلم يترك محط فائدة الا وركض فيه لأهل التبصر جوادا. ولم يدع مطمع نظر الا وقدح فيه لذوي الاستحضار زنادا. مع الماعه بأحوال ملوك وافراد. وتمييز افاضل

من اوغاد، وكم لخص فيه من عبرة وموعظة. عسى أن تكون الابصار بها مستيقظة. وكم نبه على أعمال عصرية. وتمدنات مصرية. عسى أن ينجح تأثيرها ويفوح في الجيل المعاصر عبيرها. وكم استدراك من مقاصد سانحة. وملاحظات راجحة. وبعض مسائل عقلية. واشارات نقلية وملح اقتصادية. مع ايجاز شيق واختصار انيق. فكان التأليف بذلك روضة ذات أزهار. أو قلادة رصعتها الاحجار. واختصار أنيق. وحقيق بمن تأمل مغزاه ومغمزه. وساور دائرته ومركزه. واقتبس من لوازم تصريحاته كنايات واستمد من منطوقه تفهمات ودرايات ان يتلقاه منصفا غير جاحد. ويقيم عليه من عالم المشاهدات شواهد. ويعترف ان القرطاس للاهداف مصيب وأن الواقع لا يرتاب فيه مريب. ويعتقد أن حسن الاستسلام. من كمال الاسلام. واصاب القائل

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب

وكذا القائل:

خفض العيش واصبرن رويدا فالرزايا اذا توالت تولت

فلله دره من أديب اخلصت الحرية فكرته. ومحضت القريحة فطنته. جزاه الله خيرا.

وزين له في معارج الارتقاء سيرا.

وقلت اذ قرضته أخذا بحكم الادب

تاريخه اتحفنا أهل اللسان المعرب

ونرجو الله تعالى أن يلهمنا وجميع الامة لما فيه صلاح. ويسهل علينا التمسك بالصدق والورع والانتصاح. عسى أن تحسن النوايا. بداخل الطوايا. وتقلع عما ورثها شؤم. الاستبداد. من عوائد الحيف والرشي والوشاية والعناد. وتنطبع الانفس بالحرية والمساوات والأخوة التي تزيل المناوات. أنه سبحانه مقلب القلوب. وعلام الغيوب. وصلى الله على سيدنا محمد وآله والسلام. في 11 شوال الابرك عام 1331 احمد بن عبد الواحد بن محمد ابن الموااز السليماني الحسني لطف الله به.

وقال رحمه الله

علاج العلا للمحتمين به برء   وفي بابها للمصطلين به دفء

ومن يسق في أرض السعادة زرعه   فلا عجب ينمو لحاماته الشطأ

وما القصد إلا سيدي الحسن التقي   وهل له يدرى في ملوك العلا كفء

وقال أيضا:

لركن المعالي في المقاصد ألجأ   وهل للندا من غير فيضه منشأ

ومن يلتمس منه اقتباس سعادة   فإمداده للقابسين مهيأ

وقال أيضا رحمه الله:

لقد تم في كهف المعالي رجائي فلا غرو حقا أن يطيب هنائي

وكيف وقد طاب الكتهالي ومنشأي بها وصباحي في الحمى ومسائي

وقال الأديب محمد بوجندار بمناسبة تعيين أحمد بن الجواز رئيسا بمجلس الاستيناف الأعلى

أتتني صباحا وهي حاملة بشرى تهلل وجه الدهر من أجلها بشرا

وقد فتنت لما أتت فكأننا سكارى بها أنسا ولست ترى خمرا

فقالت ما تدري فقلت لها بلى فقالت إليك الخبر إني بها أدرى

فقلت وماذا الخبر قالت بشارة بعزل فلان عن وظيفته الكبرى

وإن ابن جواز حبيبك قد أتى رئاسة الاستئناف وهو بها أحرى

فقلت لعمر الحق حل لنا الهنا وحق لك التقبيل عن هذه البشرى

فقبلتها ألفا ومن فرحي بها تغالطت في عدي فزدت لها عشرا

لتهن أبا العباس أحمد من غدا به الثغر ثغر الفتح أشنب مفترا

فأنت الذي قد طار صيته في الورى بأنه فرد في القراءة والإقرا

وفي العلم بحر قد تلاطم موجه وهل بيننا من يصطدم الموج والبحرا

وفي المجد يدعى سيدا وابن سيد يزاحم نجم الأفق والشمس والبدرا

وفي النظم والآداب لاشك شعره هو الشعر لكن دونه رتبة الشعرى

اذا حاضر الجلاس يوما بعلمه تقول يزين النحر أو ينفث السحرة

ولو أنه أجرى اليراعة خلته لنا يطبع الأسجاع أو يصنع الدرا

وينظم في سلك القوافي جواهر كما ينشر الأسلاك والأنجم الزهرا

بعيشك قل لي هل فلان نظيره وهل أنه في العلم قد فاقه قدرا

وهل أنه في المجد والجد شبهه وهل أنه يحكي شمائله الغرا

وهل بيته بيت النبؤة والهدى وهل أنه من نسل فاطمة الزهرا

وهل تستطيع اليوم تزعم أنه لدى الرأي والتدبير مثله أو أدرى

لعمري ما في فضل أحمد من مرا وهل يجحد الصبح الذي أبصر الفجرا

لتهن أبا العباس بالرتبة التي تقلدتها فينا فللتهنا فخرا

لك الشرف الأسمى الذي دونه السما طأ الأرض ثم ارق المجرة والنسرا

لتهن لنا ولتبق فينا محسنا إذا ما أطال الله لي ولك العمرا

وأجابه ابن الحواز

طبيعة أهل المجد تستنبت البذرا كما أن داعي الود لم يطق الصبرا

فما ارتكزت في همة المجد حكمة جمالية إلا اقتضى نورها النشرا

وما صقلت مرآة ود وحصنت دعائمه إلا وتستوجب الشكرا

ولما تجلت لي خريدة فكركم أفادت فأصبت من بلاغتها الفكرا

ولاحت كما تبدو الثريا بأنجم تواصل جوازء المجرة بالشعرى

وحيت فأحييت نفحة أنست بها وهنت فأهدت من شذا طيبها عطرا

وزارت فوفت بالمكارم منكم وعين الرضى ترنو لما جاوز القدرا

ولا شك أن الخير والعلم والعلا صفات يفيد الشعر من أهلها البشرى

لكم واجب الشكر الذي لا نطيقه   على نية حسنى خصصتم بها ذكري

ولما تجلت لي خريدة فكركم   أفادت فأصبت من بلاغتها الفكرا

ولاحت كما تبدو الثريا بأنجم   تواصل جوازء المجرة بالشعرى

وحيت فأحيت مهجة أنست بها   وهنت فأبدت من شذا طيبها عطرا

وزارت فوفت بالمكارم منكم   وعين الرضى ترنو لما جاوز القدرا

ولا شك أن الخير والعلم والعلا   صفات يفيد الشعر من أهلها البشرى

لكم واجب الشكر الذي لا نطيقه   على نية حسنى خصصتم بها ذكري

وبي أسف من أجل سقمكم الذي   يداركه المولى بعافية تترى

ويمن شفاء لا يغادر علة   وتجديد عز دائم يرتقي النسرا

وإني على شوق أعود جنابكم   قياما بحق ما استطعت له حصرا

كما أني أرجو دعاءكم الذي   يرى مستجابا عند من يمنح السترا

تداركنا سبحانه بعناية   فإنه يكفينا وإياكم الأمرا

وكتب إلى بوجندار في بعض أغراضه قوله:

عجبا لأهل محبة وذمار عهدوا بحفظ معاهد التذكار

تأتيهم كتب الحبيب فلم يرد عنها الجواب وهم بقرب مزار

أو ليس حكم محبة متنزها عن آفة التقصير والإقصار

وعقيدتي أن الفضائل حازها ذو الرتبة الأحظى أبو جندار

فالشأن فيه عناية قد نزهت عن وصفها بتلمس الأعذار

لكن تهليلا أتى بوجودكم منه الجواب بموعد استبشار

وعلاه أولى بالوفاء لأنه متميز بمحامد الآثار

والقصد منك بأن تذكر فضله في فوزنا بسهولة الأوطار

حاش الحقوق بأن تضيع وإنها تنمى لأهل العدل في الأقطار

لاسيما عدل الحقيم فإننا نرجو الشفاء به من الأضرار

والعدل في فصل الحقوق أساس ما تبنى عليه عمارة الأمصار

ما العدل في التحسين إلا تابع بعد الحقوق وحفظها من طاري

وإذا الحقوق تأخرت أفضت إلى أن التغافل في التحفظ ساري

ولكم تكررت الشكاية مذ بدا نشر القرار بفصل كل مباري

وتكرر الإعلان رسميا بإر جاع الغصوب وميزة الأقدار

ما بال شكوانا لسوء الحظ لم تنل الفصال بحيز الإظهار

وأجل من حفظ الحقوق إقامة قد ركبت من أعظم النظار

فلنا الرجاء بأن نرى من فضلهم نور الوفاء من نير الأفكار

فراجعه بقوله:

هذا طرازك أم يراعك جاري يا نافث الأسحار في الأسحار

أم تلك عاطفة الوداد تمثلت ممزوجة بعواطف التذكار

جاءت تذكر في حقوق لم تسم منا بنسيان ولا بنفار

وغدت تفوق للملامة أسهما وتقول يا عجبا لأهل ذمار

تأتيهم كتب الحبيب فلم يرد عنها الجواب وهم بقرب مزار

مع أنني حينا كتبت جوابها من غير تقصير ولا إقصار

لكن أتت بلسان تهليل فقط نظرا لكونه فارس المضمار

ولكونه بيت القصيد والاتحا د ما في كل شغل جاري

مهلا أبيت اللعن لا تعتب على عاري المقاصد من معرة عار

ولئن وهمت تكاسلي وتغافلي فالوهم عندي كالخيال الساري

ما إن له حجة مقبولة في شرع أهل الود والإيثار

ولطالما وحياتكم ذكرت صا حبنا وكم ألحت في تذكاري

فيجيب أن الحرب كانت أعظم ال أسباب في التعطيل للأوطار

وهي التي للآن ما زالت لأه ل الحكم تشغل سائر الأنظار

فعليك بالصبر الجميل ولا تخف لابد يظهر حقك المتواري

ولقد علمت اليوم خير بشارة تهدي إليك مسرة استبشار

وتريك أن الفضل في تلك القضا ياقد غدا في حيز الإظهار

حيث المقيم غدا بنفسه ناظرا في شأنها من أعظم النظار

فإليك حسن بشارتي مقرونة بتحيتي وثنائي المعطار

وكتب له أيضا رحمه الله معتذرا:

هذا محبكم قد جاء يعتذر والعفو عند كرام الناس ينتظر

ليس التخلف للإخلاق شيمتنا وإنما قد أتى ضد المنى القدر

وقد علمت قديما قول شاعرهم تجري الرياح بما لا تشتهي النظر

فأجاب:

عذر التخلف مقبول بموجبه لولاه ما كانت الأحباب تعتذر

والود إن كان بالإخلاص مقترنا ولو مع العذر لم يضعف له أثر

دمتم ودام على القبطان مرتقيا والوقت في غده منكم سينتظر

المصادر:

مفاكهة ذوي النبل والاجادة حضرة مدير جريدة السعادة عبد الحي الكتاني ط.

المظاهر السامية عبد الحي الكتاني: مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء (مخطوط)

المقامة الفيلية لابن الموازن: مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء: 155

التأليف ونهضته في القرن العشرين(1/76-78)،

حجة المنذرين على تطلع المنكرين للموازن/(مخطوط)

اتحاف اعلام الناس ط.

الاعلام للمراكشي ط.

فواصل الجمان لغريط ط.

مجلة دعوة الحق ط.

عبدالله الجراري: أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، الرباط وسلا: مطبعة الأمنية – الرباط

.1971

محمد بوجندار: الاغتباط بتراجم أعلام الرباط – مطابع الأطلس – الرباط 1986.

معجم البابطين لشعراء العرب في القرنين التاسع عشر والعشرين ط.

اللسان المعرب للسليماني لأحمد بن الحواز ط.

نعت البدايات وتوصيف النهايات لمحمد فاضل بن مامين ماء العينين ط.

الإتحاف الوجيز بأخبار العدوتين/محمد بن علي الدكالي ط.

المنار: المهدي للخزانة الصبيحية بسلا / تأليف أبي مروان عبد الملك البلغيثي

منشورات الخزانة العلمية الصبيحية، سلا 2005

تقريظ لكتاب (شرح الشافي في العروض والقوافي لأحمد بن الحاج العياشي سكيرج (مخطوط بالمكتبة السكيرجية بفاس)

مصادر لم أقف عليها:

الأبحر المعينية في الأمداح المعينية:النعمة ماء العينين: رسالة جامعية (مرقون)

خزانة الشيخ أحمد بن عبد الواحد بن الحواز توجد في ملك أولاد أخيه الهادي بفاس.

ديوان احمد بن المواز / في سفرين (مخطوط).

رياض السلوان فيمن اجتمعت به من الأعيان، للعلامة سكيرج. ط.

«دفع الوسواس عن مخالجة الأنفاس» /احمد بن المواز (مخطوط).

تغيير الأسعار على من عاب الأشعار لعبد الرحمان بن زيدان العلوي : تحقيق وتقديم صقلي حسيني، نعيمة: دبلوم الدراسات العليا : الأدب : فاس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز : 1992

أحمد بن المواز تقريظات حول تقييد في بيان حكم سجود التلاوة للحبابي ط حجرية.

وحاشية على التاودي على بن عاصم للوزاني ط حجرية.

وكشف الغمة للكردودي. ط حجرية.

المراحل السّنية للأصقاع السّوسيّة/ احمد بن المواز (مخطوط).

اللؤلؤ السّنيّ في مدح الجناب الحسني/ احمد بن المواز: نظم فيه جميع البحور الشعرية على اختلاف أعاريضها وضروبها، طبع على الحجر سنة1307هـ

«نيل الأرب في بيتي العقل والأدب» / احمد بن المواز : مطبوعة على الحجر أيضا.

أحمد بن عبد الواحد بن المواز تراثه الأدبي (تصنيف ودراسة) الأستاذة إيديري فاطمة الزهراء

مكتبة كلية الآداب بالرباط(مرقون)

المقالة المرضية في تاريخ الدولة العلوية / احمد بن المواز ه: الخزانة الملكية بالرباط 493

ديوان محمد البيضاوي الشنقيطي ط.

الرجز المرتجل لنيل الحظ عن عجل/ أحمد بن المواز: مصور جائزة الحسن الثاني للمخطوطات

والوثائق: 1981/فاس.

قصيدة مدح الحسن الاول بمناسبة خروج أفراك السعيد:لأحمد ابن المواز مصور جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق: **5788/1976 وثائق مكناس**